عمر لطفي النجار

الأنبياء والأساطير

بسم الله الرحمن الرحيم

- المقدمة:

لقد تحدثنا عن الأساطير، طبيعتها، نشأتها وأغراضها، في غير هذا الكتاب، كما بينا الموقف الإسلامي لتقييمها وتجاوز ما فيها من عيوب، ومن حيث أن الأسطورة تجيب على كل الأسئلة كعلم مطلق، فقد وجدناها تنبعث تارة أخرى، من أحضان النص القرآني، ومما لا يمكن نسيانه من ثقافات ما قبل الإسلام، ولبيان الاختلاف في نشأة الأساطير وطبيعتها، كان لزاماً علينا البحث، في كيف تحولت قصص الأنبياء، والمتشابه من القرآن، إلى أساطير ذات طبيعة مختلفة.

لقد كان العلم عند البدائيين، محدوداً بما ترويه الأساطير، ومن كان له هذا العلم فلا جهل له بشيء، والتفسير الأسطوري للقرآن أو التفسير بالأساطير، لا قصد له في نهاية المطاف، إلا الحصول على العلم الشامل، فليس في القرآن عند صناع الأساطير من متشابه، ولا شيء إلا وهو معلوم، وما سكت عنه القرآن، فهو موجود لديهم بتفاصيل مدهشة، عن طريق الاختلاق المرمِّم للنص بزعمهم.

إن منهج التفسير بالأساطير والاختلاق، كان طعنة أكبر للفكر والعقل الإسلامي، فمن كان له الظن بتحصيل كل العلم، فلا شيء سيدفعه إلى البحث عن حقيقة نقاط العلَّام الموضوعية التي رافقت قصص الأنبياء في

القرآن، مما أدى إلى الخمول والاستكانة إلى الجهل، فلا سعي إلى التاريخ، إلى الآثار، إلى الموجود عند حضارات ما قبل الإسلام، حتى مات هذا النوع من العلم عند المسلمين، إلا من شذرات لا تكاد تذكر، وبقي العلم بعيداً عن الجهد والبحث اكتفاءً بالكلام والثرثرة، حتى أرادونا بالسند إن ذكروه، أن نصدق كل ما زعموه من ترهات، وأنها على قداسة ومن الدين.

إن تحصيل كل العلم أمر غير وارد، لا بالنسبة لإنسان فرد، ولا بالنسبة لمرحلة من المراحل البشرية أو الاجتماعية، أو العلمية، والاعتراف بجهل أشياء كثيرة، دوماً وعلى مدار الزمن، شرط لا بد منه لتقدم العلم، ودوماً وفي أية مرحلة من مراحلنا العلمية، يجب تذكر قوله تعالى: "**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**". والمتشابه كعلاقة بالنص من ناحية أخرى، هو الآخر مستمر في بقائه مذ نزل القرآن، حتى يوم الفصل والقرار، وبذلك الفصل وحدوثه، عندها فقط، لا متشابه، والكل عندها قد أُحكم أو على الإحكام.

تفسير القرآن بالأساطير أو التفسير الأسطوري للقرآن، ليس فيه شيء من العلم، وكل الذي فيه ضلال وأوهام علم شامل، ومن خطورة هذه المسألة التي ما تزال عناصرها فاعلة في المجتمع، وبوجود البعض الذي ما زال يرددها للوعظ والإرشاد، وبظنه أنه على علم وعلى حُسن الصنيع

وغاية الفلاح، تكون الطامة لمستمع حَدَثْ، لينبذ الدين بسببها، إن شب على مزيد من العلم والمعرفة، حتى لم يعد يذكرها إلا كشاهد على ما كان عليه من قصور علمي وجهل وتخريف، وكل ما نرجوه ألا يستمر الواعظ في خطئه، وألا نحكم على الدين بخطأ هذا الرجل أو ذاك.

أما خطة البحث، فتتمثل في استعراض ما أنتجه الفكر الأسطوري للرواة، أمام العقل، لبيان تهافت منهجهم وطبيعته، إن كان من حيث الصدق أو الكذب، أو من حيث المعقول واللامعقول، أو من حيث مضاهاة الوحي وعدم الالتزام به، مع الإشارة إلى مصادر الرواة، يهودية كانت أو وثنية أو مما كان مألوفاً عند عرب ما قبل الإسلام.

- أديان العرب قبل الإسلام:

حتى نحيط بالبنية الثقافية التي أدت إلى وجود التفسير الأسطوري، لا بد لنا من الاطلاع على ما كان عليه عرب ما قبل الإسلام، من عقائد وأديان، طالما لا نستطيع نفي الموجود في الذاكرة، وما له من دور فاعل في تداخل الحضارات والصراع فيما بينها.

لقد كان عرب الجزيرة على تماس مع العقائد المحيطة بهم، سواء عن طريق التجارة، أو عن طريق الجوار الجغرافي، وحسب طرقهم التجارية وعلاقتهم الثقافية كان تنوع عقائدهم وأديانهم، ومن أديانهم ما يلي:

١ – **النصرانية:** المسيحيون العرب "هذا الصنف نزر يسير لم يكونوا إلا عدداً معلوماً في كل عصر، إلى زمن البعثة النبوية"[١]، حيث اصطدام الفضائل المسيحية بطبيعة البدوي الحربية، أو العدوانية. و "إن النصرانية كانت في ربيعة وغسان وبعض قضاعة"[٢].

[١] - ص ١٩٦ ج٢ بلوغ الأرب
[٢] - ص ٣٤٤ ج١ نفسه

٢ – **اليهودية:** "وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة"[١]، "وغسان، واليمن"[٢]، وفي المدينة، وتيماء، وفدك، ووادي القرى، وقنا، وأبلة.

٣ – **المجوسية:** "وكانت المجوسية في تميم"[٣]، عبدوا النار "وكأن ذلك سرى إليهم من الفرس والمجوس"[٤].

٤ – **عبادة الكواكب وتأليهها:** حمير قبل أن تهودت، وقوم بلقيس عبدوا الشمس"[٥]، و "طائفة من تميم عبدوا الدبران من النجوم، وبعض قبائل لخم وخزاعة وقريش عبدوا الشعرى العبور، وأول من سن ذلك لهم أبو كبشة، و "جزء بن غالب "جد وهب بن عبد مناف أبو آمنة أم الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما بُعث الرسول وخالف قريشاً وغيرهم من العرب في عبادة الأوثان، كانوا يسمونه ابن أبي كبشة لمخالفته لهم في عبادة الشعرى"[٦]، "وبعض طئ عبدوا الثريا وهي عدة كواكب مجتمعة، وبعض قبائل ربيعة عبدوا "الرزم"، والقمر عبدته كنانة"[٧]، كما عبدت "لخم وجذام

---

[١] - ص ٣٤٤ نفسه
[٢] - ص ٢٢٢ أديان العرب قبل الإسلام
[٣] - ص ٣٤٤ ج١. ص ٢٣٥ ج٢ بلوغ الأرب
[٤] - ص ٢٣٥ ج٢ نفسه
[٥] - ص ٢٣٧ ج٢ نفسه
[٦] - ص ٢٣٩ ج٣ نفسه
[٧] - ص ٢٤٠ نفسه

المشتري، وطئ سهيلاً، وأسد عطارد"[1]. وقد نسب بعضهم "ما يهطل من مطر، وما يحدث من ريح إلى النجم الساقط بالغداة، لاعتقادهم أن تلك النجوم النوئية هي سبب الأمطار والرياح"[2]

٥ ـ **عبادة الجن:** قال ابن الكلبي: "إن بنو مليح من خزاعة، رهط طلحة طلحات، كانوا يعبدون الجن"[3]، وقال تعالى: **"بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون"**[4]، كما اعتقدوا بالتناسل بين البشر والجن، والملائكة والبشر، عن طريق النكاح، و "ذكروا أن جرهماً كان من نتاج بين الملائكة وبنات آدم، ومن هذا التركيب كانت بلقيس ملكة سبأ، وذو القرنين: كانت أمه "فيري "آدمية، وأبوه "عبري "من الملائكة"[5]، "وزعم ابن هيثم أنه رأى بالكوفة فتى من ولد عبد الله بن هلال الحميري، صديق إبليس وختنه، وأنهم كانوا لا يشكون أن إبليس جده من قِبل أمهاته"[6]، وقيل أيضاً: أن بلقيس عن زواج بين الجن والإنس، وغير ذلك كثير.

٦ ـ **الدهريون:** "هؤلاء قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها، وقالوا ما حكاه الله تعالى عنهم: **"ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا**

---

[1] - ص ٩٤ تاريخ مختصر الدول
[2] - ص ٩١ علم التنجيم
[3] - ص ٣٥٣ أديان العرب قبل الإسلام
[4] - سبأ: ٤٠
[5] - ص ١١٤ ج١ كتاب الحيوان
[6] - ص ١١٥ نفسه

إلا الدهر"، وقالوا: الطبع المحيي، والدهر المفني"[1]، فلا إيمان لهم بربوبية، ولا اعتقاد لهم بآخرة، وقد قال شاعرهم:

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

٧ – **عبادة الأصنام:** هؤلاء اعتقدوا بالخلق عن الخالق، وقالوا بنوع من البعث، ولكنهم أنكروا الرسل، وعبدوا الأصنام، لا لذاتها، وإنما كواسطة تقربهم إلى الله تعالى: "**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**"، أو كقبلة كما الكعبة قبلة المتعبدين وبعضهم عبدها كآلهة لهم، وقيل أن عمرو بن لحي هو أول من أتى بالأصنام من بلاد الشام إلى مكة يستمطر بها"[2]، وانتشرت الأصنام في جزيرة العرب انتشار النار في الهشيم، حتى أصبح الصنم ركناً أساسياً من أركان كل قبيلة، فهو المدافع عنها في الحرب"[3]، والآتي لها بالرخاء عند السلم، "وكان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر، كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به"[4]، وأصنامهم حسب أصحابها ما يلي:

---

[1] - ص ٢٢٠ ج٢ بلوغ الأرب
[2] - ص ٧٦ ج١ السيرة النبوية لابن هشام
[3] - ص ٨٥ في فلسفة الحضارة الإسلامية
[4] - ص ٢٠٦ ج٢ بلوغ الأرب

- إساف ونائلة: عبدتها خزاعة وقريش، قيل: هما رجل وامرأة مسخا حجرين لعلاقة الزنا بينهما، وضعا عند الكعبة، ليتعظ بهما الناس ثم عبدا.
- الأقيصر: صنم لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان.
- باجَر: صنم للأزد ومن جاورهم من طئ وقضاعة.
- ذو الخلصة: كان مروة بيضاء، منقوش عليها كهيئة التاج، كانت تعظمه وتهدي له خثعم ودوس وبجيلة، وعرب تبالة.
- ذو الشرى: صنم لبني الحرث بن يشكر من الأزد.
- ذو الكعبات: لبكر وتغلب.
- ذو الكفين: صنم لدوس، ثم لبني منهب بن دوس.
- رضاء: كان بيتاً لبني ربيعة من تميم.
- رئام: كان لحمير، وهو بيت بصنعاء.
- سعد: كان لبني ملكان، وهو صخرة طويلة تعبدها مالك وملكان ابنا كنانة بساحل جدة.
- سعير: صنم لعنزة.

- سواع: كان برهاط من أرض ينبع، وكان سدنته بني لحيان، يعبده من يليه من مضر.
- عائم: كان لأزد السراة.
- العزى: كان أعظم الأصنام عند قريش، وسدنته بني شيبان من بني سليم.
- عميانس: صنم لخولان.
- عوض: صنم لبكر بن وائل.
- الفلس: صنم لطيئ.
- اللات: وكانت صخرة مربعة لأهل الطائف، وكانت سدنتها من ثقيف، ثم اتخذوا العزى.
- مناة: صنم من خشب اتخذه عمرو بن الجموع من بني سلمة، كان منصوباً على ساحل البحر بناحية شلل، بقديد بين مكة والمدينة، وكان أشد الناس إعظاماً له الأوس والخزرج.
- مناف: سميت به عبد مناف، وهو معبود بين عرب الشام
- نسرى: اتخذته حمير، عبدوه بأرض يقال لها بلخع.
- نهم: كان لمزينة.

- هبل: كان من عقيق أحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، فجعلت له قريش يداً من ذهب، وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة.
- ود: كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، كان لبني عذرا وبني عامر.
- اليعبوب: صنم لجديلة طئ.
- يعوق: اتخذته خيوان، كان بقرية يقال لها خيوان من صنعاء، عبدته همدان ومن والاها من اليمن.
- يغوث: مذحج وأهل جرجش، وكان بأكمة باليمن"[١]

وهناك أصنام أخرى كثيرة منها: الأشهل، آوال، البجة، بلج، الجبهة، جريش، جلسد، جهار والدار، الدوار، ذو الرجل، الشارق، صدا، صمودا، صنمار، الضيزن، العبعب، عون، كثرى، الكسعة، المداة، مرحب، منهب، الهيا، ذات الودع، يا ليل، المقة ذسموي.

٨ ـ **الحنيفية:** إن العرب من عدنان وقحطان، كانوا قبل عمرو بن لحي الخزاعي، يتعبدون الله بشريعة إبراهيم الخليل عليه السلام، ويعتقدون

---

[١] - ص ٢٠١ ـ ٢١٤ بلوغ الأرب. ص ٣٠٦ أديان العرب قبل الإسلام

بالإله الواحد الذي لا شريك له، الموصوف بصفات الكمال، وبعض العرب اعتقدوا بالمعاد، "وأن من نحرت ناقته على قبره حُشر راكباً، ومن لم يفعل ذلك حُشر ماشياً"[1].

ملاحظة: من الملاحظ أن اتخاذ العرب لأديانهم كان اتخاذاً ساذجاً بسيطاً وبدائياً، ولهذا لم تنتشر الأديان الكهنوتية كاليهودية والمسيحية والمجوسية فيما بينهم إلا كومضات عابرة، ومن حيث طبيعة البدوي في الحل والترحال، كان الصنم الوثني ملائماً لهم حتى جعلوه على طبيعتهم، فإن رحلوا رحل معهم، وإن سكنوا سكن معهم، وإن جاعوا أكلوه، وإن حزب الأمر سألوه، ولا هم بارعون في النحت والرسم والكاتبة، ولا هم بالصابرين على ظلم الكهنة، ومن هذا كله، وحيث لا دولة، فلا معابد في جزيرة العرب لها المضاهاة للكنيس والكنيسة والمعبد، وثنية كانت تلك المعابد أو غير وثنية، حتى الأساطير بمعناها التعبدي عند الحضارات الأخرى لم تكن ذات وجود لديهم، إلا على معنى الخرافة والحكاية التي تخلو من المنهج المعرفي أو القداسة، واكتفى العرب بسادن واحد، أو كاهن أو خادم للصنم، ومهما كان عددهم إن كان أكثر، فمن المحال مقارنة

---

[1] - ص ٩٤ تاريخ مختصر الدول

وجودهم بوجود كهنة المعابد رجالاً أو نساءً، مغنين أو منشدين ومتنبئين ومنجمين وعاهرات.

المعابد بكهنتها، بأساطيرها، بتماثيلها ونقوشها، بضخامة أبنيتها لم تكن كذلك لولا وجود الدولة، ولكن العرب إلا بعض العرب البائدة، لم تستطع عقائدهم وأديانهم لا بالقاسم المشترك فيما بينها ولا بطبيعتها أن تكون أساساً لدولة قوية، بل العكس، فحيث وجد لكل قبيلة صنمها، أدى إلى انعدام أي لقاء اجتماعي ضخم، تحت قيادة واحدة وقانون أو دين واحد، وبقي العرب قبائل شتى متناحرة بسيوفها أو بأصنامها.

ـ غزوة الفيل بين الأسطورة والواقع:

لقد أسس الحميريون في بداية القرن الرابع الميلادي، دولة قوية في جنوب الجزيرة العربية، ورداً على اعتناق أثيوبيا للنصرانية في عهد الملك "إيذانا "حوالي عام ٣٦٠ م، كان اعتناقهم لليهودية، وكان "الملك كارب يوهاميم "أول ملك حميري اعتنقها منهم، وفي عام ٥١٨ م، اعتلى "ذو نواس "العرش، ودخل في حرب ضد الانتشار الأثيوبي في جزيرة العرب، فاضطهد النصارى وارتكب المجازر المريعة بحقهم، حتى الإحراق بالنار هم وكنائسهم، وقال تعالى: **"قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود"**، ومن خشية روما على مصالحها التجارية، شجعت أثيوبيا على غزو الحميريين، وبحملة قوية بقيادة "أرباط بن اصحمة "اسقطت مملكتهم، وقفز ذو نواس بجواده إلى البحر الذي ابتلعه، ولكن اثيوبيا لم تضم اليمن أو الجنوب العربي إليها، واكتفت بجعلها مملكة تابعة لها، حيث نصرت حميري مسيحي اسمه "سوميافا "ملكاً عليها، ولم يمض وقت طويل حتى قفز على العرش "أبرهة "الأثيوبي، وبقي ملكاً على اليمن من عام ٥٤٢ ـ ٥٥٣ م"[١]، وازدهر بناء الكنائس في عصره، ولما كان طامحاً بالسيطرة على جزيرة العرب تحت لواء النصرانية، ولجعل اليمن المحور العقائدي لها، ولتحويل طرق التجارة

[١] - ص ٧٢ ـ ٧٤ أبحاث في الجزيرة العربية. ص ٥٣ ج٢ مروج الذهب

المرافقة للحج إلى مملكته، بنى كنيسة "القليص "كبديل عن الكعبة "ثم كتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبِن الملك مثلها قط، ولست منتهياً حتى أصرف إليها حج العرب. فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة، فخرج إلى القليص، فدخلها ليلاً، فقذر فيها تهاوناً بها وتعصباً للكعبة، فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها"[1]، وجهز أبرهة حملة قوية، وانطلق إلى غايته بصحبة فيل اسمه "محمود "واسم سائقه "أنيس"، أراد استخدامه لهدم الكعبة، وبوصوله إلى الطائف طلب من أهلها دليلاً، فأرسلوا معه "أبو رغال "ليدله إلى طريق مكة، ولكنه مات في الطريق، فرجمت العرب قبره"[2] في "المغمس "حيث نزل فيه أبرهة، "وهو موضع على ثلثي فرسخ من مكة"[3]، ومن هناك أرسل "الأسود بن منصور "على رأس قوة إلى الكعبة، فأصاب فيها مشتى بعير لعبد المطلب بن هاشم، فصادرها، وبالسؤال عن شريف مكة، جاء عبد المطلب وفوجئ أبرهة، حيث لا اعتراض لديه ولا طلب له إلا استرداد بعيره، وبعد أن أخذها انصرف إلى مكة مخاطباً أهلها:

أهل مكة قد وافاكم ملك   *مع الفيول على أنيابها الزرد*

---

[1] - ص ٣٩٧ عرائس المجالس. ص ٤٣ , ٤٥ ج١-٢ السيرة النبوية لابن هشام. ص ٢٥٧ بلوغ الأرب
[2] - ص ٤٨ ج١ السيرة النبوية
[3] - ص ٨٧ تاريخ الكعبة

و أمر قريشاً أن تلحق ببطون الأودية ورؤوس الجبال، طلباً للنجاة، ولما ودع الكعبة، قال:

"يا رب إن العبد يمنـ ـــــع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبداً محالك" [1]

و لما استعد أبرهة للهجوم على مكة، جاءه ما لم يكن بالحسبان، طيور ترميهم بحجارة قاتلة، فهزم جيشه شر هزيمة.

- **شهود على فعل الطيور:** لما كانت حملة أبرهة إلى مكة لهدم الكعبة هرب أهلها دون قتاله، كل ذلك ثابت تاريخياً، فالطيور هي التي انتصرت عليه، وكثيرين ممن عاصروا ذلك الحدث وشهدوه، قد ذكروا الذي فعلته تلك الطيور في أشعارهم، ومنهم ما يلي: نفيل بن حبيب الخثعمي، استعان به أبرهة ليدله على الطريق، وقد رأى ما فعلته الطيور بالجيش، وفي ذلك يقول:

"حمدت الله إذ عاينت طيراً وخفت حجارة تلقى علينا" [2]

و أبو السلت بن أبي ربيعة الحنيفي الاعتقاد، يقول:

"حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يحبو كأنه معقور

---

[1] - ص ١٠٥ ج٢ مروج الذهب
[2] - ص ١٠٥ ج٢ نفسه. ص ٢٥٧ ج١ بلوغ الأرب. ص ٥٣ ج١ السيرة النبوية

لازماً خلقه الجران كما قطر مدر صـخر كبكب محدور"[1]

و قال عبد الله بن قيس الرقيات:

واستهلت عليهم الطير بالجند ل حتى كأنه مرجوم

و قال أبو قيس بن الأسلت:

فأرسل من فوقهم حاصباً فلفهم مثل لف القزم"[2]

و قال عبد الله بن الزبعري:

ستون ألفاً لم يئوبو أرضهم ولم يعش بعد الإياب سقيمها

و عن عائشة رضي الله عنها قالت: "لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان"[3] "الناس"[4]، "وقد عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمن نبوته وبعد هجرته جماعة شاهدوا الفيل، وطير الأبابيل، منهم: حكيم بن حزام، وحاطب بن عبد العزى، ونوفل بن معاوية"[5]، وقال تعالى في سورة الفيل: "**ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول**".

[1] - ص ٦٠ ج١ السيرة النبوية
[2] - ص ١٧٣ ج٢ البداية و النهاية. ص ٥٨ ج١ السيرة النبوية
[3] - ص ١٧٤ ج٢ البداية و النهاية
[4] - ص ٥٧ ج١-٢ السيرة النبوية
[5] - ص ٢٦٢ ج١ بلوغ الأرب

والمعنى: "طيراً أبابيل"، أي: فرقاً من الطير يتبع بعضها بعضاً، "سجيل"، أي: طين متحجر محروق أو آجر أو طين كالحجر، "عصف مأكول"، أي: كزرع أُكل حبه وبقي تبنه، على فساد بالروث والبول.

أما الشاهد الأخير، فهو الشاهد الاجتماعي المتضمن لمعنى التواتر، والمتمثل في استخدام قريش للحدث كتأريخ لهم، يقول الطبري: "فأما قريش من بين العرب، فإن آخر ما حصلتُ من تأريخها قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة على التأريخ بعام الفيل"[1]، "وكان سائر العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة كتأريخهم بيوم جبلة، وبالكُلاب الأول، والكُلاب الثاني"[2]، ويقول المسعودي : "وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقريش تؤرخ بموت هشام بن المغيرة المخزومي والفيل"[3]، أي: "أصبح العرب يؤرخون لأحداثهم بعام الفيل إحياءاً لذكرى تلك الواقعة التي انتصرت فيها الكعبة على فيل القليص"[4]، وعن محمد بن صالح والشعبي: "فكان تأريخ من الفيل، حتى أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة"[5].

---

[1] - ص ٥ ج٢ تاريخ الأمم و الملوك
[2] - ص ١٢٠ ج١ نفسه
[3] - ص ١٨٠ التنبيه و الإشراف
[4] - ص ٦٣ تاريخ الكعبة
[5] - ص ٤ ج١ تاريخ الأمم و الملوك

لقد انتصر الله للكعبة وسلمها من الدمار، فهل انتصر سبحانه للأوثان والأصنام التي فيها وحولها؟ طبعاً لا، فقد كانت هذه المعجزة إرهاصاً ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، الذي ولد بعد غزوة الفيل بخمسين يوماً"[١]، وعن ابن عباس: وُلد رسول الله صلى الله عليه وسلم "عام الفيل"[٢]، فقد عدت قصة الفيل من آيات الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه كان في زمانه حِملاً في بطن أمه بمكة، لأنه ولد بعد خمسين يوماً من الفيل"[٣]. وقد أخطأ مقاتل بن سليمان وعبيد بن عمير والكلبي، بزعمهم أن ولادته صلى الله عليه وسلم كانت بعد أربعين أو ثلاث وعشرين سنة من عام الفيل"[٤]، لأن عائشة رضي الله عنها على الأقل، وهي الأصغر سناً من الرسول قد أدركت سائس الفيل وقائده في مكة، ناهيك عن أن مقاتل والكلبي وعبيد ووهب بن منبه مشكوك في أمرهم وفي أخبارهم، فتارة ينتصرون للتوراة مروجين لها، وتارة أخرى يختلقون الأساطير والمهولات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وهذا ما سوف نراه في هذا الكتاب.

- **الجدري وحجارة الطيور:** رواية انفرد بها يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، تقول: "أنه حُدث أن أول ما رُئيت الحصبة والجدري

---

[١] - ص ٢٧٤ ج٢ مروج الذهب
[٢] - ص ١٥٨ ج١ السيرة النبوية. ص ٤٥٣ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[٣] - ص ٢٦١ ج١ بلوغ الأرب
[٤] - ص ٤٠٢ عرائس المجالس

بأرض العرب ذلك العام، عام الفيل، وأنه أول ما رئي بها مرار الشجر: الحرمل والحنضل والعشر ذلك العام"[1]، والكواكبي زعم أن العرب قد سبقوا أوروبا في اكتشاف ميكروب الجدري والحصبة، استناداً إلى هذه الرواية التي صدقها"[2], كما صدقها شيخ الأزهر محمود شلتوت، وبزعمه عصرنة الإسلام. ولكن المعجزة ليست فيما حملته هذه الطيور، إنما في طيور سُلِّحت لهزيمة جيش قوي، وهل إن قصفنا جيشاً بجراثيم الجدري والحصبة وهو على بعد ثلثي فرسخ من هدفه أن تمنعه من الوصول إليه، هذا محال، ولم يستطع أبرهة ولا جيشه من الدخول إلى مكة، وبحدوث الواقعة، انطلقوا فورا باحثين عن دليلهم "نفيل "للعودة إلى اليمن، وها هو يقول:

"وكل القوم يسأل عن نفيل كأن علي للحبشان دينا"[3]

أما عن الوجه الأسطوري الذي رافق الواقعة التي حدثت بين الطيور وجيش أبرهة، فكثيرين هم الذين تبرعوا بتفسيراتهم الأسطورية التي منها: "قال ابن عباس: كان لها – أي الطيور – خراطيم كخراطيم الطيور وأكف كأكف الكلاب، وقال عكرمة: كان لها رؤوس كرؤوس السباع، وقال ربيع:

---

[1] - ص ٤٤٤ ج١ تاريخ الأمم و الملوك. ص ٢٥٧ ج١ بلوغ الأرب. ص ٥٤ ج١ السيرة النبوية. ص ١٧٣ ج٢ البداية و النهاية

[2] - ص ٤٦ طبائع الاستبداد

[3] - ص ١٧٣ ج٢ البداية و النهاية

لها أنياب كأنياب السباع، وقال أبو الجوزاء: أنشأها الله في الهواء في ذلك الوقت"[1]. وعن عبد الله بن عمر: "إن طير الأبابيل كانوا أقبلوا من قِبل البحر، ترميهم بحجارة أصغرها مثل رؤوس الرجال وأكبرها كالإبل"[2]. "وقال سعيد بن جبير: هي طير تعشش بين السماء والأرض وتفرخ، طيور خضر لها مناقير صفر"[3]. وقال بعضهم: أنها أتت من البحر "أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك"[4].

وبرأيي أن هذه التفصيلات المبنية على الخيال، لا هي علم حتى تروى وتدون، ولا هي بالتي تنفع الإعجاز أو الإسلام، إنما هي أكاذيب تم اختلاقها لتنسب إلى الصحابة زوراً وبهتاناً، وبهذا النسب يكون الشك في عقلية صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو لجعل الإسلام وما فيه كأسطورة من أساطير الأولين، حيث لا فصل بين الدين والأساطير في كل الأديان التي رافقت حضارات ما قبل الإسلام.

---

[1] - ص ٣٩٩ – ٤٠٠ عرائس المجالس
[2] - ص ٤٠٠ نفسه
[3] - ص ٢٧ ج١ حياة الحيوان الكبرى
[4] - ص ٥٣ ج١ السيرة النبوية لابن هشام

ـ آدم والفكر الأسطوري:

لما هبط آدم من الجنة، كانت قدمه على الجبل "ورأسه في السماء، يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم، وكان آدم يأنس بذلك، فهابته الملائكة واشتكت إلى ربها، فحطت قامته إلى ستين ذراعاً، وكان قبل ذلك يمس رأسه السحاب، فصلع، وأخذ أولاده الصلع"[١] عنه، وقيل أن طوله الجديد بلغ "مائتين وسبعين ذراعاً"[٢]، و "قال قتادة: كان آدم إذا عطش يشرب من السحاب"[٣].

وعن قدمه: في جزيرة سيلان "قدم آدم عليه السلام، وهم يسمونه بابا، ويسمون حواء ماما"[٤]. "وأثر القدم الكريمة لأبينا آدم في صخرة سوداء مرتفعة بموضع فسيح، وقد غاصت القدم الكريمة في الصخرة حتى عاد موضعاً منخفضاً، وطولها أحد عشر شبراً، وأتى إليها أهل الصين قديماً فقطعوا من الصخرة موضع الإبهام وما يليه، وجعلوه في كنيسة بمدينة الزيتون"[٥]. وقيل: ان "جبل سرنديب، هو الجبل الذي أهبط عليه آدم عليه السلام، وهو بأعلى الصين، فيه أثر قدم آدم مغموسة في الحجر، ولا بد له

---

[١] ـ ص ٣٠ عرائس المجالس
[٢] ـ ص ٧٣ أخبار الزمان
[٣] ـ ص ٣٧ بدائع الزهور
[٤] ـ ص ٦٧٧ ج٢ رحلة ابن بطوطة
[٥] ـ ص ٦٨٢ نفسه

في كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه السلام"[١]. وقيل: إن "جبل الراهون هو الذي أهبط عليه آدم عليه السلام، ويروى: ان في هذا الجبل أثر قدم آدم عليه السلام وهي منحوتة في الحجر، وطولها نحو عشرة أذرع"[٢]. والبراهمة يزعمون أن طولها "سبعون ذراعاً، وأن على هذا الجبل مثل البرق ليلاً ونهاراً فلا يمكن لأحد النظر إليه، وأن آدم عليه السلام خطا منه إلى البحر خطوة واحدة، وهي على مسيرة يومين"[٣]. ويقول "كراب "عن قدم آدم في جزيرة سيلان: "هذه الحكاية تجري في منطقة واسعة من أوروبا"[٤].

هبط آدم على جزيرة سرنديب على جبل الراهون في أرض الهند"[٥]"وقيل على جبل في أرض الهند يقال له: نور، وقيل "واسم"، وحواء نزلت بجدة، وإبليس بالأبلة من أرض العراق، وهي بالبصرة، وقيل: حشان، والحية بأصبهان، والطاوس بأرض بابل"[٦]، وابن عباس قال "أهبط

[١] - ص ٢١٠ عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات
[٢] - ص ٢٠ بدائع الزهور
[٣] - ص ٥٨ أخبار الزمان
[٤] - ص ١٣٠ علم الفلكلور
[٥] - ص ٥٧ , ٧٢ أخبار الزمان. ص ٢٧ عرائس المجالس
[٦] - ص ٢٧ – ٢٨ عرائس المجالس. ص ٤٤ج١ مروج الذهب

آدم بالهند، على جبل يقال له بوذ، وأما أهل التوراة فإنهم قالوا: أهبط آدم بالهند على جبل يقال له واسم"[1].

ملاحظة: لم يرد في القرآن ولا في الأحاديث النبوية الصحيحة عن ذكر قدم آدم، ولا مكان نزوله أو نزول حواء والحية وإبليس والطاوس ولا عن طول قامته إلا في حديث واحد رواه البخاري "عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن"

- آدم وأصل الأشياء: "لما هبط آدم على الأرض، بكى على الجنة حتى بلغت دموعه البحر، وجرت فيها السفن"[2]. "ولما طلع الشعر على رأسه، وطالت أظافره، أتاه جبريل فحلق رأسه، وقص أظافره، ودفن ذلك في الأرض، فأنبت الله منه النخل"[3]. "وكان آدم وحواء يبكيان على ما فات من نعيم الجنة، فخرج من دموعهما الحمَّص والفول"[4]، ولما أهبط كان "عليه الورق الذي خطفه من ورق الجنة، فيبس فذرته الرياح فانتثر في بلاد الهند، فقيل: إن علة كون الطيب بأرض الهند من ذلك الورق"[5]، "وإن

---

[1] - ص ٧٩ تاريخ الأمم و الملوك
[2] - ص ٢٠٥ الإسرائيليات و أثرها في كتب التفسير
[3] - ص ٣٧ بدائع الزهور
[4] - ص ٣٩ نفسه
[5] - ص ٤٤ ج١ مروج الذهب

هذا الطيب الذي يُجاء به من الهند هو مما خرج به آدم من الجنة"[١]. "وأنزل معه ثلاثين قضيباً من ثمار الجنة، وجعلها إكليلاً على رأسه، منها عشرة ظاهرة القشور وهي: الجوز واللوز والبندق والفستق والخشخاش والقسطل وجوز الهند والرمان والموز، وعشرة لها نوى وهي: التفاح والسفرجل.."[٢]. وابن عباس يقول: "ثلاثة أشياء نزلت مع آدم عليه السلام: السندان والكلبتان والميعقة، والمطرقة"[٣] وقيل "خمسة أشياء من آلات الحدادين: السندان والكلبتان والميعقة "المسن "والمطرقة والإبرة"[٤]. والأشعري يقول: لما خرج آدم من الجنة زوده الله بثمار الجنة وعلمه صناعة كل شيء"[٥]، علمه "استخراج الحديد وسبكه وعمل الزبدة وآلات الأرض وما يحتاج إليه"[٦]. وقال كعب الأحبار: لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام جاءه ميكائيل بشيء من حب الحنطة وقال: هذا رزقك ورزق أولادك من بعدك، قم فاحرث الأرض وابذر الحب، قال: ولم يزل الحب من عهد آدم إلى زمن إدريس عليه السلام كبيضة النعامة، فلما كفروا نقص إلى بيضة الدجاجة ثم إلى بيضة الحمامة، ثم إلى قدر البندقة، وكان في زمن العزيز على قدر

---

[١] - ص ٨٢ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[٢] - ص ٧٣ أخبار الزمان. ص ٤٤ ج١ مروج الذهب
[٣] - ص ٨٤ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[٤] - تفسير القرطبي لقول " و أنزلنا الحديد "
[٥] - ص ٨٢ – ٨٣ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[٦] - ص ٧٣ أخبار الزمان

الحمصة"[1]."وأنزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة في سورة الأنعام: من الضأن اثنين ومن المعز اثنين... فحواء أول من غزلت وآدم أول من نسج ولبس الصوف.. وجاءه جبريل بشرر نار من جهنم... ثم أتاه بصرة من حنطة"[2]، "وقيل أن آدم كنى جبل "أبو قبيس "باسمه عندما اقتبس منه النار التي بين أيدي الناس"[3]. ثم علمه الحراثة بالثورين، والعجين والخبز "ثم عاد إليه ومعه المعول، ثم فتق قُبله ودبره، ولم يكن قبل ذلك من مخرج للطعام"[4] فلما أكل آدم "الخبز عطش فشرب عليه الماء، ووجد في نفسه تشكياً لم يعهده، فلما أتاه جبريل شكا له ذلك، ففتق جبرئيل عن دبره، فبال وتغوط من وقته"[5]، ومن حيث ان آدم غير مولود، فلا بد من تفسير وجود السرة لديه: "ولما كان آدم عليه السلام، صلصالاً كالخلية، كان إبليس اللعين يمر عليه ويضرب بيده على بطن آدم، فمن تلك الضربة صار مكانها السرة، فكانت السرة علامة من ضرب إبليس"[6]، وأهبط الله تعالى إلى آدم ديكاً "فكان الديك إذا سمع التسبيح في السماء، سبح في الأرض، فيسبح آدم لتسبيحه"[7]. وبمكة "بشرقيها عين ماء تُعرف بعين البقر، يقال أن الله تعالى

---

[1] - ص ٣٦٢ ج٢ حياة الحيوان الكبرى
[2] - ص ٣٢ عرائس المجالس
[3] - ص ٨٠ المجادلة الحضارية
[4] - ص ٣٣ نفسه
[5] - ص ٣٨ بدائع الزهور
[6] - ص ٢٢ نفسه
[7] - ص ٣٥ عرائس المجالس

أخرج منها البقر لآدم عليه السلام"[1]، وأن "آدم لما أخرج من الجنة اشتكى إلى الله تعالى الوحشة، فآنسه الله تعالى بالخطاف، وألزمها البيوت فهي لا تفارق بني آدم أنسالهم"[2].

أما حواء، فقد أهبطها الله "على جدة، وبيدها قبضة من جوهر الجنة، فتناثر منه من يدها، فكانت الجواهر منه"[3]، "وقد كانت حواء أمرت بالنسج والمغزل، فغزلت القطن والكتان والوبر ونسجت وكست أولادها، وقد لبس آدم عليه السلام من غزل حواء"[4]، أما عن وجودها أو خلقها، "فنام آدم نومة في الجنة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة"[5]، "بجانبه، فأعجبته، وألقى الله الشهوة في آدم، فهمَّ بها"[6]، فأقام له الملائكة عرساً سدنته جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، إلا عزرائيل فلم يحضر العرس، ولكن الطبري لما ذكر حواء كضلع من الرجل ذكرها كقضية توراتية"[7]، دون أن يأتي بأي حديث عن الرسول بهذا الخصوص.

---

[1] - ص ٨١ ج١ رحلة ابن بطوطة
[2] - ص ٤١٨ ج١ حياة الحيوان الكبرى
[3] - ص ٧٢ أخبار الزمان
[4] - ص ٧٨ نفسه
[5] - ص ٧٤ ج١ البداية و النهاية
[6] - ص ٣٤ بدائع الزهور
[7] - ص ٦٩ ج١ تاريخ الأمم و الملوك

أما عن الشجرة التي نهى الله آدم عن الأكل منها "قال قوم أنها البر، وقال آخرون أنها العنب، وقال الأكثرون أنها التين"[١] وقال علي رضي الله عنه: "هي شجرة الكافور، وقال محمد بن كعب ومقاتل: هي السنبلة، وقيل هي الحنطة، وقيل هي الكرمة"[٢]، وأكثر أهل العلم قالوا: أنها "البر، وكانت الحبة بقدر الأترجة"[٣]، "وسعيد بن المسير يحلف بالله ولا يستثني: أن آدم ما أكل من الشجرة وهو يعقل، ولكن حواء سقته الخمر"[٤]، وقيل: أنه لما طلب ستر عورته "طاف بأشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطي بها عورته، فزجرته أشجار الجنة، حتى رحمته شجرة التين، فأعطته ورقة، فكافأ الله التين بأن سوى ظاهره وباطنه في الحلاوة"[٥].

وعن مقام آدم وزوجه في الجنة "فكان مقام آدم في الجنة مع حواء ثلاث ساعات، مقدار مائتين وخمسين سنة من أيام الدنيا"[٦]، كما "أجمع أهل الأثر أن آدم عليه السلام خُلق يوم الجمعة، لست خلون من نيسان"[٧].

---

[١] - ص ٥ تاريخ مختصر الدول
[٢] - ص ٢٦ عرائس المجالس
[٣] - ص ٧١ أخبار الزمان
[٤] - ص ٢٧ عرائس المجالس
[٥] - ص ٢٧ نفسه
[٦] - ص ٧٢ أخبار الزمان
[٧] - ص ٧١ نفسه

أما عن عقاب آدم بعد طرده من الجنة "عوقب آدم بنقصان طوله، وكُلف النظر في رزقه والتعب فيه"[1]، "وعوقبت حواء بعشر خصال: وجع العذراء، ووجع الولادة، وطول الحمل والحيض، وحزن الموت، وقناع الرأس، وملكة الرجال للنساء، وأن تكن تحت الرجل عند الجماع، والولولة عند المصيبة، ورقة القلب عند الحزن"[2]، وقال وهب بن منبه: إن "عقاب المرأة هو في اقتران الحمل بالموت والعذاب، وقال محمد بن قيس: أن عقابها بالمحيض كل شهر"[3].

أما الحية، فقد كانت "ذات قوائم"[4]، فلما أراد إبليس "أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء، منعه الخزنة من ذلك فأتى الحية، وكانت من أحسن الدواب التي خلقها الله تعالى، لها أربعة قوائم كقوائم البعير، وكانت من خُزَّان الجنة، وكانت صديقة لإبليس، فسألها أن تدخله الجنة في فيها، فأدخلته"[5] في فيها، حيث تحول إلى ريح"[6]، وبعد أن طردها الله من الجنة عاقبها، بنزع "قوائمها"[7]، وبقص جناحيها وانعدام يديها ورجليها ومشيها على بطنها وشق لسانها، وخوفها من الناس وعداوتهم لها، وجعل من

---

[1] - ص ٧٤ نفسه
[2] - ص ٧٤ نفسه
[3] - ص ٧٢ – ٧٣ تاريخ الأمم و الملوك
[4] - ص ٧١ أخبار الزمان
[5] - ص ٢٦ عرائس المجالس
[6] - ص ٢٧ نفسه
[7] - ص ٧٢ أخبار الزمان

التراب غذاؤها"[1]، ووهب بن منبه ومحمد بن قيس قالا: بزوال قوائمها أو قطعها"[2]، "وأمشاها على بطنها ومسخ صورتها بعد أن كانت أحسن الدواب، وجعلها تموت كل سنة بالشتاء، وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها"[3].

وعوقب إبليس باللعن والطرد، و "قال كعب الأحبار: أهبط آدم عليه السلام بالهند وحواء بعرفة، وإبليس بجدة، والحية بأصفهان. وأمر الله تعالى آدم بحج البيت فحج، فكان حيث وضع قدمه تنفجر الأنهار، وتُبنى المساجد. فلما وصل إلى عرفة وجد بها حواء فتعارفا بها"[4]، "فوجدها تبكي، فقال لها: هذا عملك"[5]، ومكان تعارفهما سمي "عرفة"[6]، وبطريقه إلى الحج تلقته "الملائكة بالأبطح، فقالوا له: حياك الله يا آدم، لقد طفنا قبلك هذا البيت بألفي عام، ولسنا بأول من حجه، وعلمه جبريل المناسك"[7]، وعند جبل الرحمة، في أسفله "دار عتيقة البنيان، في أعلاها غرف لها طيقان، تنسب

[1] - ص ٧٤ نفسه
[2] - ص ٧٢ – ٧٣ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[3] - ص ٢٩ عرائس المجالس
[4] - ص ٢٦٣ ج٤ صبح الأعشى
[5] - ص ٧٣ أخبار الزمان
[6] - ص ٤٥ ج١ مروج الذهب. ص ٢٨ عرائس المجالس
[7] - ص ٧٣ أخبار الزمان

إلى آدم"[1]، وبجدة "موضع فيه قبة مشيدة عتيقة، يذكر أنه كان منزل حواء أم البشر"[2].

وعما أنجبه آدم من حواء، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "حواء ولدت لآدم عيه السلام عشرين ومائة بطن. وابن اسحق يقول: جميع ما ولدته حواء لآدم لصلبه أربعون من ذكر وأنثى في عشرين بطناً"[3]، وقيل: "أن آدم مات عن أربعين ألفاً من ولده وولد ولده"[4].

وعن وفاة آدم عليه السلام، قيل: "توفاه الله وهو ابن سبعمائة سنة وخمسون سنة"[5]، "وكان سبب وفاته عليه السلام، أنه انصرف من الفلاحة موعوكاً، فحم ومرض إحدى وعشرين يوماً والملائكة تختلف إليه"[6]، "وكان سنه يومئذ تسعمائة وثلاثين سنة، وقالوا تسعمائة وخمسين سنة، وأتاه جبريل عليه السلام بكفن وحنوط من الجنة"[7]، "ووليت الملائكة غسله ودفنه"[8]، ثم "حمل إلى غار الكنز من جبل أبي قبيس فدفن فيه، وكانت وفاته عليه السلام يوم الجمعة، ومات وولده وولد ولده أربعون ألف بيت،

---

[1] - ص ١٣٠ رحلة ابن جبير
[2] - ص ٦٨ نفسه
[3] - ص ٩٢ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[4] - ص ٤٨ ج١ مروج الذهب
[5] - ص ١٠ أخبار الزمان
[6] - ص ٧٥ نفسه
[7] - ص ٧٥ ــ ٧٦ نفسه
[8] - ص ٤١ عرائس المجالس

ورفعت مع موته الخيمة الياقوت التي كانت بموضع الكعبة"[1]، ومنهم "من زعم أن قبره بمنى في مسجد الخيف، ومنهم من رأى أنه في جبل أبي قبيس، وقيل غير ذلك"[2]، "وقال ابن اسحق: في مشارف الفردوس، وقال غيره: دفن في مكة، وابن عباس قال: مات آدم على جبل نود بالهند، وكانت وفاة آدم يوم الجمعة ثم حواء بعده بسنة"[3].

ملاحظة: إن قلنا بأن حقيقة الاعتقاد محصورة بالقرآن وما صح عن الرسول من أحاديث عندها لا علاقة لكل تلك الروايات بالعقيدة الإسلامية، وإن قلنا بأن العقل لا يستقيم إلا برفع التناقض، فإن التناقض الذي فيها وفيما بينها، سيدفع منشأها إلى الأوهام والكذب، وإن قلنا بأن القرآن هو القيِّم على ما قبله من الكتب، فإنا سنجد أن هذه الروايات قد انتصرت لقوامة التوراة على القرآن، وهو أمر مناف للاعتقاد، وبكل الحالات فهي روايات لا تستقيم مع الإسلام.

آدم حسب هذه الروايات وكأنه أحد آلهة الأساطير في الأديان القديمة، طوله حتى السماء، حتى الغيوم، والصلع من احتكاك رأسه بالسماء، وكأن السماء صلبة وسقف وإلى ما هنالك، وبهذا تم تفسير وجود الصلع عند

---

[1] - ص ٧٦ أخبار الزمان
[2] - ص ٤٨ ج١ مروج الذهب
[3] - ص ٤١ عرائس المجالس

البشر، خطوته تساوي مسير يومين، قدمه إحدى عشر شبراً، عشرة أذرع، سبعون ذراعاً، مطر يغسلها كل يوم، ومضاءة ليلاً ونهاراً، من دموعه البحار، من شعره وأظافره النخيل، ومن دموعه ودموع حواء كان الحمص والفول، وهذا يذكرنا بطريق الخلق بموت الإله أو الإلهة لخلق الأشياء، في الفكر الأسطوري، والعين نبعت بالبقر لآدم، تماماً كما نبع الحصان بفعل الإلهة أفروديت، وإن الآلهة هي مصدر أوائل الأشياء، فآدم جاء بالحديد، وأدوات الحدادين، والبذور، والثمار، وعلم الصناعة، وديك التسبيح، كل ذلك من عالم غير هذا العالم، من الجنة، كما جاء بالنار من أبي قبيس أو جيء له بها من جهنم، وتحديد مقام آدم في الجنة، واليوم الذي خلق فيه، وتحديد عدد أولاد آدم بأربعين فرداً، أو أربعين ألف، أو أربعين ألف بيت، وعمره بسبعمائة وخمسون سنة، أو تسعمائة وثلاثون سنة حسب التوراة، وتحديد موته يوم الجمعة، أو تحديد الشجرة بالبر والكرمة والتين والكافور، هذا كله هرطقة، ولا سبيل للبشر بهذا التحديد أو العلم على الإطلاق، فعلى أي شيء كان اعتمادهم؟ وهل كان لهم من فكرة عما يعنيه التاريخ وعلم التاريخ وعلم ما قبل التاريخ؟ لا، وكل غايتهم إبهات المستمع إن تحدثوا بتلك الغرائب والعجائب ليقال أنهم على علم أوسع من أن يحيط به العقل، وهل يعقل لمن طوله بلغ السحاب أو السماء أن يدفن ببيت، أو غار، أو بمسجد، وهل مات في الهند أم في مكة؟ الصواب: الله أعلم.

أما قضية عقاب سكان الجنة المطرودين منها، فهي قضية توراتية، بينما القرآن يقول بإن الله غفر لآدم ذنبه، ولا قال بلوم حواء عما حدث، ولا ذِكر فيه للحية أو الطاووس وغير ذلك، وكل العقاب إنما في طردهم من الجنة، ولعنة لحقت بإبليس حتى يوم البعث. مع العلم أن القصة وبوجود الحية، كان الغرض منها تفسير انعدام القوائم لديها بطريقة بدائية أسطورية، وبهذا الفكر تم أيضاً تفسير وجود سرة آدم ودبره وبوله.

- قابيل وهابيل:

أسماء ابني آدم لا ذكر لهما في القرآن، ولا ذكر لهما في الأحاديث الصحيحة، إنما ذكرا بالتوراة: قاييم، هابيل، وبالعربية أصبح: قاييم، قابيل، ولكن "إيل "السريانية التي في الأسمين استغلها بعضهم لصالح نظرية التطور ليقول: أن آدم أو الإنسان العاقل، آدم التوراة، الذي يعود تاريخ وجوده إلى ٤٥٠٠ سنة ق.م، هو الذي سمى أبناءه، وطالما "إيل "تعني الله بالسريانية، فوجوده إذاً لا يتعدى هذا التاريخ أو الوجود السرياني، وتحديد التوراة بالتالي لتاريخ وجود آدم صحيح، وما قبله كان أوادم كثر: بكيني، كروماني، نياندرتالي، كحلقات وسطى تطورية ما بين القرد والإنسان العاقل أو آدم التوراة . ولكن المسلمين في حل من هذا الإلزام إن صح التعبير، والله أعلم باسم ابني آدم على الحقيقة، حيث لا إلزام توراتي للمسلمين إلا بما وافق القرآن.

- الخلاف بين ابني آدم: في القرآن لا ذكر للخلاف الذي وقع بين قابيل وهابيل، على الزوجة، أما التوراة فبعد ولادة حواء إلى قاييم الذي حملت به في الجنة، قالت: "اقتنيت رجلاً من عند الرب، ثم عادت فولدت أخاه هابيل، وكان هابيل راعياً للغنم، وكان قاييم عاملاً في الأرض، وحدث بعد أيام أن قاييم قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب، وقدم هابيل أيضاً من

أبكار غنمه ومن سمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قاييم وقربانه لم ينظر"[١]، والإشارة التي تعزز خلافهما على الزوجة حسب التوراة، هو قول الرب لقاييم: إن لم تكن على الإحسان "فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها"[٢]. وبعد كلام بينهما في الحقل، قام قايمم وقتل هابيل، ثم نفاه الله أو هرب ممن سيثأر منه "وسكن في أرض نود شرقي عدن"[٣]. والقرآن يقول: "**واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين**"[٤].

الخلاف في التوراة وكأنما الدلالة إلى الصراع المأثور بين الراعي والفلاح من خلال الصراع على الزوجة، وأن الله انتصر للراعي على الفلاح، أما القرآن فلا شيء فيه من هذا القبيل، وكل الخلاف محصور بين تقي وصاحب بدعة أو وخارج عن الشرع والعقيدة، وهو المعني بقوله تعالى: "**إنما يتقبل الله من المتقين**"، وحيث قُبل قربان ورفض آخر حدث القتل، ولكن من أي باب دخل خلافهما على الزوجة عند المسلمين؟ إنها التوراة، والبغوي الذي كأنما كان موجوداً مع ابني آدم يقول في تفسيره:

---

[١] - تكوين ٤: ١ ـ ٥

[٢] - تكوين ٤: ٧

[٣] - تكوين ٤: ١٦

[٤] - المائدة: ٢٧

"إن قابيل وتوأمته "أقليما "ولدا عن زواج آدم وحواء لما كانا في الجنة، أما هابيل وتوأمته "لبودا "فنتاج زواج على الأرض، ورفض قابيل تزويج اخته إلى هابيل لأنه الأحق بها من غيره، فاقترعا إلى القربان، فرضي هابيل وسخط قابيل، فسولت له نفسه قتل أخيه"[١]، وقال ابن جريج: "فتصور له إبليس لعنه الله في صورة إنسان، وأخذ طائراً ففشخ رأسه بحجر فقتله، فاغتفل قابيل هابيل حتى نام عند غنمه، وهي ترعى فحمل حجراً فطرحه على رأسه فقتله، ومن حسرة آدم على ابنه وعلى الجنة أنزل الله تعالى له خيمة من خيام الجنة من ياقوت حمراء وضعت مكان الكعبة"[٢]، وكان "قابيل أول من عبد النار"[٣]. ورواية أخرى لخلافهما: أنه لما بلغ هابيل مبلغ الرجال، أنزل الله إليه حورية من السماء اسمها "تركة "فتزوجها، أما قابيل فتزوج بجنية اسمها "عمالة"، ولما نظر قابيل زوجة أخيه طمع بها بحجة أنه الأكبر، فقتل أخاه من أجلها"[٤]. ولكن من أين جاء لنا بـ "أقليما، لبودا، تركة، وكل تلك التفاصيل، طالما كل القصة عن خبر من الوحي، فهل من وحي بعد خاتم الأنبياء؟

---

[١] - ص ٢٦٨ الإسرائيليات. ص ٣٧ – ٣٨ عرائس المجالس
[٢] - ص ٧٤ – ٧٥ أخبار الزمان. ص ٣٩ عرائس المجالس
[٣] - ص ٧٦ أخبار الزمان
[٤] - ص ٣٨ عرائس المجالس

اختلفا على الزوجة، ولكن قربان قابيل كان رديئاً"[1]، فهل لرداءة القربان رفضه الله، أم لحكم بالحق لصالح هابيل؟ القرآن قال برفضه لأن صاحبه غير تقي، أما التوراة، فقالت أن هابيل قدم من سمان غنمه"[2]، وذاك من ثمار أرضه، وذكر الكهنة للقربان السمين كغرض يعنيهم، قد غرَّر بهواة التفسير بالتخاريف من المسلمين، حتى ظنوا أن الله قبله لصفته لا للحق الذي لصاحبه، وعندها كأنما الموضوع لبيان الصراع بين الراعي والفلاح، وربما أن كتبة التوراة تأثروا بأساطير بلاد ما بين النهرين حتى كان الانحراف إلى هذا المعنى، كالصراع الأسطوري مثلاً عند السومريين بين "لاهار "الراعي، و "إشنان "المزارع اللذان احتكما للآلهة، حتى حكمت لصالح لاهار على إشنان"[3]، والإلهة "أنانا "التي تبحث عن زوج لها، اختارت "ديموزي "الراعي، على "أنكمدو "الفلاح"[4]. أقول ربما.

ولنستمع إلى هذه الترهات: "كان لهابيل يوم قتل عشرون سنة"[5]، وقال مقاتل: إن الوحوش كانت تستأنس بآدم، فلما قتل قابيل هابيل هربت منه الطير والوحش، وشاكت الأشجار، وحمضت الفواكه، وملحت المياه،

---

[1] - ص ٥ تاريخ مختصر الدول. ص ٩٣ ج١ البداية و النهاية. ص ٣٨ عرائس المجالس

[2] - تكوين ٤: ٤

[3] - ص ٢٤٦ – ٢٤٧ مغامرة العقل الأولى

[4] - ص ٢٤٧ – ٢٤٩ نفسه

[5] - ص ٣٩ عرائس المجالس.

وغبرت الأرض"[1]، وحزن آدم على مقتل هابيل، فرثاه بشعر عربي فصيح، قائلاً:

تغيرت البلاد ومن عليها — فوجه الأرض مغبر قبيح
وقتل قايم هابيل ظلماً — فوأسفاه على الوجه المليح
أرى طول الحياة علي غماً — وما أنا من حياتي مستريح"[2]

"وقيل: هذا أول شعر قيل في الأرض، وأجمع أهل التواريخ على صحة ذلك، ما عدا الشيخ أبا الفرج ابن الجوزي، فإنه ينكر ذلك ويقول: إن آدم لم ينطق بالشعر، ومما يؤيده، أنه كان سريانياً"[3]، وكذلك حواء وإبليس قالا الشعر، وبالعربية أيضاً"[4] !!، ولكن آدم كما قالوا أيضاً: "كان يتكلم بالعربية، فحول الله عز وجل لسانه إلى السريانية، بل وقالوا: "وعَلِم اللغات كلها"[5].

وعلى كل حال: "في زمن أنوش، قُتل قايم ابن آدم قاتل أخيه هابيل"[6]، أما عن المكان الذي قتل فيه هابيل، فهو في دمشق "بجبل قاسيون حيث

---

[1] - ص ١٠٧ ج٢ حياة الحيوان الكبرى
[2] - ص ٤٦ ج١ مروج الذهب. ص ٣٩ عرائس المجالس. ص ٩٢ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[3] - ص ٤٢ بدائع الزهور
[4] - ص ٤٠ عرائس المجالس
[5] - ص ٧٥ أخبار الزمان
[6] - ص ٤٩ ج١ مروج الذهب

مغارة الدم وفيها سال دمه وقتل"[1]، "وهناك حجر يزعمون أنه الحجر الذي فلق به هامته"[2]، وفيها كما يقول ابن عباس "شربت الأرض دمه"[3]، "وبالقرب من عين الفيجة في دمشق، قبر يزعمون أنه قبر هابيل"[4]، "وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن كثير – غير الحافظ – أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وهابيل، وأنه استحلف هابيل أن هذا دمه، فحلف له، وذكر أنه سأل الله تعالى أن يجعل هذا المكان – أي مغارة الدم – مجاب الدعاء، فأجابه إلى ذلك، وصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: أنه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان كل يوم خميس"[5]. وعلى ما يبدو أن مغارة الدم هذه قد أصبحت من سبل العيش للمتسولين، حتى تجرأوا بأحلامهم على الرسول وصحابته، وعلى الحقيقة التي لا يعلمها إلا الله، بزعمهم المعلومات عن طريق الوحي الذي مثَّلوه بالمنام.

ملاحظة: التساؤل الآن هو ما الذي يخسره المسلمون إن لم يزعم هؤلاء بهذه التفصيلات المختلقة أو بهذه التفسيرات التوراتية؟ بالعكس، فقد أعطوا صورة خرافية لفهم القصص القرآني، حتى كانوا تكأة للمغرضين

[1] - ص ١٩٢ رحلة ابن جبير. ص ٤٦ ج١ مروج الذهب
[2] - ص ٢١٥ عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات
[3] - ص ٤١ بدائع الزهور
[4] - ص ٧ الأصول الكنعانية للمسيحية
[5] - ص ٢٣ قصص الأنبياء

في صراعهم للدين، ولو كانت لهم الكفاية بما ورد، ووقفوا حيث توقف القرآن لحافظوا على عقولهم وخيالهم للاستخدام الصحيح، فليس من خير في اختلاق ما سكت عنه القرآن، ولو كان فيه خيراً لفصله الله ورسوله لنا، ولكنها محاولات فاشلة لإدخال الكهانة والأسطورة إلى الإسلام، فزعموا المنامات للمعرفة، وفسروا شوك الأشجار وحمض الفواكه وملح الماء، واغبرار الأرض بمقتل هابيل، وبذلك تكون عودتهم تارة أخرى إلى الفكر الأسطوري القائل بالخلق عن طريق الإله المقتول.

أما قضية الشعر العربي لآدم وحواء وإبليس، فهي الشهادة الكافية على جهل القائلين بها، وكأنما الحرف العربي منزل متكامل لا علاقة له بالتجربة أو التطور، وهذا ما لم يقله عاقل على الإطلاق، وكيف لنا تحديد لغة آدم إن كان وجود آدم يخص ما قبل التاريخ الذي معناه: ما قبل الكتابة، وربما أن هؤلاء قد انجروا وراء التحديد لزمان وجود آدم، حتى كان لهم اقتراح السريانية تارة والعربية أو كل اللغات تارة أخرى.

ـ نوح والتفسير الأسطوري:

رأى نوح ذات مرة كلباً بأربعة أعين، فسخر منه وعاب عليه، فاحتج عليه الكلب: بأن الخالق لا يُعاب، وراح نوح بعدها يبكي وينوح على ما أتاه من ذنب، ولهذا سمي نوح بعد أن كان اسمه عبد الغفار"[١]، ثم أرسله الله إلى قوم قابيل بعد أن كثر فيهم الفساد، فأنكروه"[٢]، وبعيد أصنامهم قدموا ثلاثمائة رجل قرباناً لهم ممن آمن بنوح، وذبحوهم بين أيديهم "فحق عليهم العذاب"، وأمره الله ببناء السفينة، فبناها من خشب الساج، وبقيت على الأرض تسعة أشهر"[٣]، "فكان نوح يصنع الخشب ألواحاً، ثم أوحى الله تعالى إليه بأن يسمر في جوانبها أربعة مسامير، وينقش على كل مسمار منها عيناً "ع "فقال نوح: يا رب وما فائدة ذلك، فأوحى الله إليه: هذه أسماء أصحاب محمد وهم: عبد الله أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم"[٤]، وقيل: "أن في وادي برزة أو وادي صيدنايا، صنع نوح الفلك"[٥]، قرب مدينة دمشق، ولما صنع السفينة التي "نصبها في رجب"[٦]، "أنطقها الله تعالى فقالت جهاراً والناس يسمعونها: لا إله إلا الله"[٧]، وحيث ذهب قاصداً

---

[١] ـ ص ٤٧ بدائع الزهور
[٢] ـ ص ٤٧ عرائس المجالس. ص ٤٨ بدائع الزهور
[٣] ـ ص ١١٤ أخبار الزمان
[٤] ـ ص ٤٩ ــ ٥٠ بدائع الزهور
[٥] ـ ص ٦ خبايا الزوايا
[٦] ـ ص ٨٣ نفسه
[٧] ـ ص ٥٠ بدائع الزهور

الحج ليدعو على قومه "أراد القوم أن يحرقوا السفينة، فأمر الله تعالى الملائكة بأن يرفعوها بين السماء والأرض، فرفعوها والقوم ينظرون إليها، فلما رجع نوح من مكة أنزل الله له السفينة إلى الأرض"[١]، وكانت العلامة بين الله ونوح على بدء الطوفان: أن يفور تنور الخبز الذي إلى "رحمة "زوجة سام بن نوح"[٢]، وكان الشعبي "يحلف بالله ما فار التنور إلا في ناحية الكوفة، وقال مقاتل: ذلك تنور آدم وإنما كان بالشام في موضع يقال له عين ورد، وقال ابن عباس: كان التنور بالهند"[٣]. وجاء جبريل بتابوت آدم فيه رمَّته، ووضعه في السفينة"[٤]، ولما فار التنور صعد نوح والذين آمنوا معه إلى الفلك "يوم جمعة لتسع عشرة ليلة خلت من آذار"[٥]، وعدد الذين ركبوا السفينة، قال ابن عباس: ثمانون وقال قتادة ثمانية، والأعمش: سبعة، وابن اسحاق: عشرة"[٦]، وقال مقاتل: ثمان وسبعين"[٧]، وتخلف ابنه "يام"[٨] عن الركوب معهم "**فكان من المغرقين**"، أما إبليس فقد تعلق بذنب الحمار وصعد إلى السفينة"[٩]، ولما سرق إبليس الكرمة، وأراد نوح

---

[١] - ص ٥٠ نفسه
[٢] - ص ٥٣ نفسه
[٣] - ص ٤٨ عرائس المجالس
[٤] - ص ٩ تاريخ مختصر الدول
[٥] - ص ٥١ ج١ مروج الذهب
[٦]- ص ١١٧ , ١١٨ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[٧] - ص ٤٩ عرائس المجالس
[٨] - ص ٥٢ ج١ مروج الذهب
[٩] - ص ٤٩ عرائس المجالس

استردادها منه، اشترط عليه الشراكة، الثلثين لإبليس، والثلث لنوح، ولما زرعها إبليس ذبح عليها طاووس، ولما أورقت ذبح عليها قرداً، ولما أثمرت ذبح عليها أسداً، فلما تزينت أعنابها ذبح عليها خنزيراً، فشربت من دم هؤلاء جميعاً، "فلهذا تعتري شارب الخمر هذه الأوصاف، فأول ما يشربها يزهو كالطاووس، وإذا مشى صفق ورقص كالقرد، وإذا قوي عليه السكر عربد وزمجر كالأسد، فإذا خدَّره السكر ينعس ويطلب النوم كما يفعل الخنزير"[١]، ومنع نوح ركاب سفينته من النكاح، ولكن ولده "حام "نكح زوجته "فدعا نوح أن تُغير نطفته، فجاء بالسودان"[٢]، والكلب هو الآخر لم يطع نوح "فنكح أنثاه، فنمَّت الهرة لنوح على الكلب على فعله، فأنكر ذلك، وعاد ثانياً وثالثاً، فقالت الهرة لنوح في ذلك، فدعا عليهما بالفضيحة، فوقعت العداوة بين الكلب والهرة من يومئذ، وصارت الفضيحة للكلاب عند جماعهما"[٣]، ولما كثر روث الدواب في السفينة كما يقول ابن عباس "أوحى الله إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث فأكلاه، فلما كثرت الفأر في السفينة وجعل يقرض حبالها، أوحى الله إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد، فضرب، فخرج من منخره

---

[١] - ص ٥٦ بدائع الزهور
[٢] - ص ١١٧ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[٣] - ص ٥٠ بدائع الزهور

سنور وسنورة، فأقبلا على الفأر فأكلاه"[١]، وهذا أيضاً ما قاله حام بن نوح حسب ابن عباس لما أحياه عيسى ابن مريم عليه السلام، ليسأله عن السفينة وأحوالها"[٢]، وبرواية أخرى أنه "عصر ذنب الفيل فوقع منه خنزير وخنزيرة، ثم خلق الله من عطسة الخنزير فأراً وفأرة، ثم كانت القطط فأكلتها "فمن ذلك اليوم صارت العداوة بين القط والفأر"[٣]، وبرواية: "لطم نوح الفيل، فعطس خنزيراً، ولطم الأسد فعطس هراً"[٤]، أما "حاشيم بن سام بن نوح فقد جاءت منه نسل أقوام بأرض اليمن يقال لهم النسانيس، وكان في وجوههم عين واحدة، وأذن واحدة، ورجل واحدة"[٥]، ولما خرج نوح من السفينة "بنى مذبحاً وقرَّب قرباناً، قبله الله، وجعل آية رضوانه قوس قزح المرئية في السحاب"[٦].

وهرباً من الاحتجاج بمصر العامرة بأحيائها، لدحض شمولية الطوفان الذي حددوا زمنه، قيل "أن هرمس الأول وهو أخنوخ وهو إدريس استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان، فأمر ببناء الأهرام، ويقال أنه ابتناها في ستة أشهر"[٧]، والمسعودي يقول: إن الطوفان حدث زمن

[١] - ص ٥١ عرائس المجالس
[٢] - ص ١١٣ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[٣] - ص ٥٠ بدائع الزهور
[٤] - ص ٨٥ أخبار الزمان
[٥] - ص ٥٧ بدائع الزهور
[٦] - ص ٩ تاريخ مختصر الدول
[٧] - ص ٤٥١ ج١ حياة الحيوان الكبرى. ص ٢١٩ ج١ الخطط المقريزية

الملك المصري "فرعان" "فلحق الماء من أعلى الأهرام إلى حد التربيع، وأثره ظاهر عليه إلى الآن"[1]، وحتى لا يقال كيف لم ينقرض شعب مصر بالطوفان، قالوا: إن الأخوان "إيلو "و "يرثا "هما من ولد مصري آمن بنوح، فنجى عقبه أو أحفاده من الطوفان"[2]. والمؤسف أن خطأهم هذا مبني على تحديد زمن آدم في التوراة عن طريق تسلسل الأنساب، فتمسكهم بهذا التحديد أدى بهم إلى هذه المزالق ذات التبرير الخرافي، علماً بأن إنكار الرسول صلى الله عليه وسلم للأنساب لما بعد عدنان معروف للجميع وأكثر من مشهور، وإن كانت الأهرامات قد استخدمت كقبور للفراعنة، فكيف يمكن جمعها مع ابن آدم القاتل الذي علمه الغراب الدفن، حيث لا علم له بالدفن والمدافن، خاصة وهم القائلون عن نوح: "كان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة في ما ذكره ابن جرير وغيره"[3]، أو ألف سنة حسبما رواه الحافظ أبو حاتم بن حبان في صحيحه، فطوفان نوح على الحقيقة إنما يخص ما يسمى بمرحلة ما قبل التاريخ، أو ما قبل الكتابة أو التدوين، بينما وجد الفراعنة في عصر التاريخ ومخلفاتهم تشهد بذلك.

[1] - ص ١٧٩ أخبار الزمان
[2] - ص ٢١٩ ج١ الخطط المقريزية
[3] - ص ١٠٠ – ١٠١ ج١ البداية و النهاية

ومات نوح، و "روى ابن جرير والأزرق عن عبد الرحمن بن سابط أو غيره من التابعين مرسلاً: أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام، وقال كثير من المتأخرين: إنه ببلدة بالبقاع تعرف اليوم بكرك نوح"[1]، وعون بن أبي شداد زعم أن عمر نوح الكلي قد بلغ ألف وأربعمائة سنة"[2]، ولو اكتفى بتحديد القرآن، لقال: عاش نوح أكثر من تسعمائة وخمسون سنة، ولا أظنه قدم لنا شيئاً بتحديد ما لم يحدده الله تعالى، وبقي أن نشير إلى الحديث الذي وراه ابن جرير عن عبد الله بن عمرو بن العاص القائل برفع الكعبة عند الطوفان، فهذا الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، ورواه الطبري موقوفاً، وبناء عليه: "ليس فيه حجة"[3]، وقيل: ربما هو من أحاديث الزاملتين اللتان عثر عليهما عبد الله يوم اليرموك، وبالحالين فلا نسب له إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، بل ولا شيء عنه، عن مجيئ السفينة، وطوافها حول الحرم سبعة أيام، كما زعموا"[4].

[1] - ص ١٢٠ ج١ البداية و النهاية
[2] - ص ١١٨ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[3] - ص ١٥٢ الإسرائيليات و أثرها في كتب التفسير
[4] - ص ٥٠ عرائس المجالس

ـ نوح وأسطورة عوج ابن عناق:

يقول جعفر الصادق: لما اجتمع آدم بحواء، ولد لهما بنت سماها "عناق"، "فبغت، وهي أول من بغى في الأرض"[1]، وقيل: "ولدت عناق بنت آدم مفردة بغير أخ، وكانت مشوهة الخلق، لها رأسان، وكان لها في كل يد عشرة أصابع، وكل أصبع ظفران كالمنجلين الحادين. ذكرها علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: هي أول من بغى في الأرض، وعمل الفجور، وجاهر بالمعاصي، واستخدم الشياطين، وصرفهم في وجوه السحر. وكان الله عز وجل أنزل على آدم عليه السلام أسماء قطيعها الشياطين، وأمره أن يدفعها إلى حواء، فتعلقها على نفسها، فتكون حرزاً لها، فاغتفلتها عناق وهي نائمة، فأخذتها واستجلبت الشياطين بتلك الأسماء، وعملت السحر"[2]، "فدعا عليها آدم عليه السلام، فأرسل الله إليها في طريقها أسداً أعظم من الفيل، فهجم عليها في بعض المغاور، فقتلها"[3].

أما ابنها "عوج "فقال ابن عباس: "كان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب منه، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس، يرفعه

---

[1] ـ ص ٣٨ عرائس المجالس
[2] ـ ص ١١٦ أخبار الزمان
[3] ـ ص ١١٧ نفسه

إليها ثم يأكله"[1]، و "طوله ستمائة ذراع بالذراع القديم، وهو ذراع ونصف"[2]، وعن نوف "كان طول عوج ثمانمائة ذراع"[3]، وحسب تفسير القرطبي "ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاث وثلاثين ذراعاً"، وقد كان معاصراً لنوح عليه السلام، وهو الذي نقل له الخشب من الكوفة إلى الحيرة قرب بغداد، ليصنع منه السفينة"[4]، ولكنه لم يؤمن، ورغم ذلك لم يبق على وجه الأرض ذو روح غير أهل السفينة وعوج بن عنق"[5]، "فيما يزعم أهل الكتاب"[6]، "وطبق الله الماء على وجه الأرض والجبال وما بلغ ركبتي عوج بن عناق"[7]، "فالطوفان لم يغرقه ولا بلغ ماؤه إلا بعض جسده، وأنه طلب السفينة ليغرقها فأعماه الله عنها، وعمَّر إلى زمان فرعون، وقطع صخرة على قدر عسكر موسى عليه السلام، وكان في أكثر من ستمائة ألف، وحملها على رأسه ليطرحها عليهم، فأرسل الله في طريقه ذلك عليه طيراً نقر ذلك الحجر حتى ثقبه، ونزل من رأسه إلى كتفيه، فصار رأسه مضغوطاً في الحجر فمنعه الرؤية، وأمر الله تعال موسى عليه السلام بقتله، وكان لموسى أيدٍ قوية، وكانت وثبته عشرة أذرع، وطول عصاه مثلها،

---

[1] - ص ٥٠ عرائس المجالس
[2] - ص ٤٨ بدائع الزهور
[3] - ص ٢٥٤ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[4] - ص ٤٩ بدائع الزهور
[5] - ص ٥٤ نفسه
[6] - ص ١١٥ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[7] - ص ٥٠ عرائس المجالس

وطوله كثيراً، فوثب إليه فلم يضرب بطرف عصاه إلا عرقوبه، فسقط لثقل الحجر فقتله، ووافق سقوطه عرض النيل، فأقام كالجسر يعبر الناس عليه، والدواب كالقنطرة، مدة طويلة"[١]، وأن "عوج عاش ثلاثة آلاف سنة"[٢]، وقيل: "عاش من العمر أربعة آلاف سنة وخمسمائة سنة، وكان إذا غضب على أهل قرية يبول عليهم فيغرقهم"[٣]. أما ابن خلدون فقد أنكر قصة عوج بن عناق ونسبها إلى كذب القصاص"[٤]، كما دحض زعمهم: أنه كان لطوله يتناول السمك من البحر ويشويه بالشمس، لأن الشمس حسب ابن خلدون "لا هي حارة ولا باردة"[٥]، أما ابن كثير فأنكرها بحجة أن الطوفان قضى على كل كافر حسب القرآن "فكيف يسوغ أن يهلك الله ولد نوح لكفره، ولا يهلك عوج بن عنق، ثم إن هذا الطول الذي ذكروه مخالفاً لما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن "وهذا يقتضي أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه"[٦]، والقصة بالتالي مختلقة ولا أساس لها من الصحة.

---

١ - ص ١١٧ أخبار الزمان. تفسير القرطبي. ص ٢٥٤ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
٢ - ص ٢٥٤ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
٣ - ص ٤٩ بدائع الزهور
٤ - ص ١٧٧ مقدمة ابن خلدون
٥ - ص ١٧٨ مقدمة ابن خلدون
٦ - ص ١١٤ ج١ البداية و النهاية

ملاحظة: هل ترانا نصدق أن رواة هذه الأساطير كانوا على جهل بالمأثور الثقافي في حضارات ما قبل الإسلام؟ فالكائنات الخرافية، كالكلب ذو العيون الأربعة، والنسانيس ذات العين الواحدة والأذن الواحدة والرجل الواحدة، أمثال هذه الكائنات كانت مألوفة وموجودة بكثرة في أساطير الوثنيين، التي ما زالت تحتفظ بها ذاكرة هؤلاء الرواة، الذين بقصد أو بغير قصد، كأنما أرادوا أسلمة الأسطورة، سواء بأغراضها أو بمنهجها المعرفي، وعناق العملاقة ذات الرأسين والأصابع العشرين، بمخالبها التي كالمناجل، هي نفسها الإلهة عشتار ذات الأذرع المتعددة، وكثيرة هي الآلهة التي مثلها الوثنيون برؤوس متعددة، والأسد الخرافي الذي حجمه كالفيل، لا بد يطلبون من المؤمنين أن يصدقوا بوجوده، أما عوج فلا فرق بينه وبين آلهة الأساطير، عملاق تمتد يداه إلى أعماق البحر، وتطال الشمس، ويحمل صخرة تغطي انتشار ستمائة ألف جندي، وطير ينقر هذه الصخرة ! هذا العملاق وقياساً على شمشون التوراة وآخيل اليونان الذي يُقتل من عرقوبه، حتى أصبح جسده جسراً، فمن يطال الشمس أصبح جسده جسراً على عرض النيل فقط، وبالفعل إن الأساطير في طبيعتها هي أقرب إلى الحلم منه إلى أي واقع، ومن طبيعته التي لا حد لها بالزمان والمنطق، تكونت البنية الداخلية للأسطورة، فالأسطورة لا تعترف بالمحال، ولا بالمنطق،

ولا بالتسلسل الزمني، ولا بالتاريخ، ولا بهوية الأشياء، فلا نوع له هوية مميزة تميزه عن الأنواع الأخرى.

صناع الأساطير لا بد لهم من إرضاء المؤمنين، لتمرير أساطيرهم دون صراع مع البيئة التي تحيط بهم، ومن استغلالهم للحماس الديني كان زعمهم بالمسامير التي بأسماء الخلفاء الراشدين، وقولهم بنطق السفينة بالشهادة، وبرفعها عن الأرض وبذهابها إلى الحج وطوافها بالكعبة، وكثيرون من السذج سيصدقون هذه الترهات بفعل ما لديهم من حماس ديني، وهكذا تكون قصة عناق وعوج وسواهما من الدين، والويل عندها لمن احتج بالدين أو العقل على تكذيب هذه القصص وأمثالها.

منهج التفسير في الشبيه في الفكر الأسطوري، والخلق عن طريق كائن موجود، عن طريق التسلسل، ولادة كان أو اشتقاقاً أو لعنة أو رضاً، هو نفسه عند هؤلاء الرواة، فمن الشبه بين الأسد والهر، وبين الخنزير والفيل، كان خلق الهر والخنزير والفأر من الأسد والفيل، عن طريق العطاس أو العصر أو الضرب، وباللعنة تم تفسير وجود النسانيس، وبالدعاء أصبح نكاح الكلاب على فضيحة الترابط، وبشكوى الهر على الكلب أصبح العداء الدائم بين الهر والكلب.

ومن مخاريق القوم، قولهم ببناء الأهرامات في ستة أشهر، وزعمهم أن طول نوح المعاصر للملك "فرعان "أو "هرمس "عشرة أذرع، علماً أنه لا شيء من هذا الطول في كل المومياءات المصرية عبر تاريخهم الطويل، فالأساطير والتاريخ لا يلتقيان، والأسطورة دوماً تعلو على الزمن، على التاريخ، على المنطق، وعالمها نسيج قائم وحده، وموضوعها سحيق لا يناله الصدق أو الكذب، وهل بالفعل لا وجود مثلاً للشوك وحمض الأعشاب إلا بعد مقتل هابيل، أو لا وجود للهر والخنزير والفأر إلا بعد الطوفان، وهل "رحمة "هي زوجة سام بالفعل، وهل المتمرد من أولاد نوح اسمه "يام"، وهل من وجود بالفعل لعوج وعناق، وهل صعد نوح وصحبه إلى السفينة في ١٩ آذار يوم الجمعة، وهل بالفعل صعد إبليس إليها متعلقاً بذنب الحمار، وهل أصبحت حالات السكر بالواقع لأن إبليس ذبح على الكرمة القرد والخنزير والأسد؟

وبالنتيجة نقول: إن للمعرفة طريقان، خبر أو إدراك، الأول يخص الإيمان، وليس لنا إلا النبوة سبيلاً له، أما الثاني فيمكن اختصاره بما يسمى الوثيقة التي تؤدي إلى تعميم المعرفة بموضوع الإدراك. أما الأساطير فلا هذا ولا ذاك، وما انتماؤها بالفعل إلا للخبر المختلق غير الخاضع للصدق أو الكذب، إن لم نقل بأنه الخبر الكاذب الذي مصدره الخيال والتهيؤات، حتى ان ما نراه من تناقض في جزئيات الأسطورة بين رواتها، هو الدليل

الواضح على الاختلاق غير الموضوعي، وما من أسطورة إلا وتعددت وجوهها بعدد صناعها أو رواتها، وقد قيل عن ركاب السفينة مثلاً: أن عددهم هو: ٨٠,٨,٧,١٠,٧٨ راكباً، وقبر نوح تارة بالمسجد الحرام وأخرى بالبقاع، والتنور تارة بالشام وتارة أخرى بالهند، وعمر عوج ٣٠٠٠ سنة أو ٤٥٠٠ سنة، وهكذا دواليك.

ـ هود وعاد:

"عاد، هم بنو عاد"[1]، "قبيلة عاد"[2]، قوم عاد، "قوم هود"[3]، زمانهم بعد نوح "**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح**"[4]، وهم قبل إبراهيم عليه السلام، وهود أول نبي بعد نوح، موطنهم "بالأحقاف"[5]، "بين اليمن وعمان: من البحرين إلى حضر موت والشحر"[6]، "وهو رمال يقال لها، رمل عالج"[7]، "وهي جبال من رمل"[8]، "وموضع بلادهم اليوم رمال ليس بها أنيس"[9]، مع العلم "أن عاداً لم تذكر في كتاب من الكتب المقدسة سوى القرآن"[10].

أرسل الله إليهم رسوله "هود"، "**وإلى عاد أخاهم هودا**"[11]، فدعاهم إلى التوحيد "ألا تعبدوا إلا الله"[12]، فقالوا: "**وما نحن بتاركي آلهتنا عن**

[1] ـ ص ٣٦٤ ج١ صبح الأعشى
[2] ـ ص ٥٨ بدائع الزهور
[3] ـ هود: ٦٠
[4] ـ الأعراف: ٦٩
[5] ـ الأحقاف: ٢١
[6] ـ ص ٣٦٥ ج١ صبح الأعشى
[7] ـ ص ٥٣ عرائس المجالس
[8] ـ ص ٥٨ بدائع الزهور
[9] ـ ص ٥١ قصص الأنبياء
[10] ـ ص ٤٩ نفسه
[11] ـ الأعراف: ٦٥. هود: ٥٠
[12] ـ الأحقاف: ٢١

قولك"[1]، ودعاهم لترك الأصنام: "**أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزّل الله بها من سلطان**"[2]، كما دعاهم للاعتقاد بالبعث والآخرة والحساب، فكذبوه "**وكذبوا بلقاء الآخرة**"[3]، وكذبوا بالبعث: "**هيهات هيهات لما توعدون، إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين**"[4].

قوم عاد كانوا على حضارة ورخاء عيش، وقوة اغتروا بها، حتى أجسامهم كانت مميزة في ضخامتها: "**وزادكم في الخلق بسطة**"[5]، "**فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة**"[6]، وقد ملكوا الأنعام، وبنوا البنيان من قصور ومصانع ماء، وأقاموا الحدائق: "**أمدكم بأنعام وبنين، وجنات وعيون**"[7]، "**أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون، وإذا بطشتم بطشتم جبارين**"[8]، حتى مدينتهم أو عاصمة ملكهم "إرم "قد تميزت بعظمتها عن باقي المدن في ذلك الزمان،

---

[1] - هود: ٥٣
[2] - الأعراف: ٧١
[3] - المؤمنون: ٣٣
[4] - المؤمنون: ٣٦ + ٣٧
[5] - الأعراف: ٦٩
[6] - فصلت: ١٥
[7] - الشعراء: ١٣٣ ــ ١٣٤
[8] - الشعراء: ١٢٧ ــ ١٣٠

حيث وصفها تعالى بقوله: "**إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد**"[1].

ولما كذبوا هود عليه السلام، حق عليهم العقاب والعذاب، فعذبهم تعالى بداية بشح المطر: "**ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبو إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم**"[2]. ولكنهم لم يتوبوا عن غيهم، فحق عليهم الدمار، فأرسل عليهم "**ريحاً فيها عذاب أليم، تدمر كل شيء بأمر ربها، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم**"[3]، "**أرسلنا عليهم الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم**"[4]، "**إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصر في يوم نحس مستمر، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر**"[5]، "**فأهلكوا بريح صرصر عاتية، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى، كأنهم أعجاز نخل خاوية**"[6].

هؤلاء هم عاد الأولى: "**وأنه أهلك عاداً الأولى**"[7]، وبهذا التمييز يكون التمييز بين عاد هود، وبين من انتسبوا إلى عاد فيما بعد، وربما عاد

---

[1] - الفجر: ٧ - ٨
[2] - هود: ٥٢
[3] - الأحقاف: ٢٤ - ٢٥
[4] - الذاريات: ٤١ ــ ٤٢
[5] - القمر: ١٩ ــ ٢٠
[6] - الحاقة ٦ ــ ٧
[7] - النجم ٥٠

الثانية هم من بقايا الأولى، خاصة أن الله نجى هود أو المؤمنين معه من دمار الريح: "**فأنجيناه والذين معه برحمة منا**"[1].

ملاحظة: لقد أعطانا الله علامات أو إشارات كأمانة للبحث عن قوم عاد ودراسة آثارهم، ولو كانت هذه العلامات التي فيها تحديد مكانهم وأهم صفة لمدينتهم ومصانعهم، والتمييز بين عاد الأولى والثانية، وضخامة أجسامهم، عند غيرنا، لبحثوا الصحراء ذرة ذرة حتى يجدوا ما أشار الله إليه، ولكننا قوم ضيعنا الأمانة، فضعنا معها، حتى أصبحنا لا طعم لنا ولا لون، واستمرأنا روايات الأساطير وحكايات التخاريف، وكأننا خلقنا لنصارع ليالي الشتاء المملة، وعن عقاب قوم هود بانحباس المطر اختلق الرواة حكاية تقول: "وفِدت عاد إلى مكة يستسقون لهم"[2]، فتشاغل المستسقون إلى لذات الضيافة، ولما أفاقوا من غفلتهم استسقوا، فجاءهم الريح العقيم، "يوم الأربعاء، فمن أجل ذلك كره الناس يوم الأربعاء"[3]، "وأن هوداً لما خرج الريح العقيم إلى الأرض لم يخرج من بين قومه، فكان الريح العقيم يهب على المؤمن نسيماً رطباً، ويهب على الكافر سموماً صعباً، ثم أرسل الله عليهم طيور سوداء، فنقلت أجسادهم وألقتهم في البحر

---

[1] - الأعراف: ٧٢

[2] - ص ١٤٢ ج١ مروج الذهب

[3] - ص ١٢٦ أخبار الزمان

المحيط"[1]، وعن ضخامة أجسامهم "قال أبو حمزة اليماني: كان طول كل رجل منهم سبعين ذراعاً، وقال ابن عباس ثمانين ذراعاً، وقال الكلبي: كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا، وقال وهب: كان رأس أحدهم كالقبة العظيمة، وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم"[2]، وقال أيضاً "وبلغني أن ستين رجلاً من قوم موسى، استظلوا في قحف رجل منهم، وقال زيد بن اسلم: رأيت ضبعاً واولاده أوكروا في عين رجل، وقد وزنتُ ضرساً من أضراسه، فجاء عن عشرة أرطال"[3]، والزمخشري في كشافه يقول: "كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع"[4]، وعن مدينتهم "إرم "زعموا أن رجلاً زمان معاوية بن أبي سفيان، قد وقع عليها، ولما تأكد معاوية من زعمه، سأل كعب الأحبار: "هل بلغك يا أبا اسحق، ان في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعمدها من زبرجد وياقوت، فقال: نعم والذي بناها فهو شداد بن عاد، هي إرم ذات العماد"[5]، ثم "قال: يا أمير المؤمنين إنما سماه الله تعالى إرم ذات العماد، من أجل الأعمدة التي نحتها من الزبرجد والياقوت، وليس بالدنيا مدينة من الزبرجد

---

[1] - ص ٥٩ ــ ٦٠ بدائع الزهور
[2] - ص ٥٣ عرائس المجالس. ص ٢٩٨ ــ ٢٩٩ ج١ الخطط المقريزية
[3] - ص ٥٨ بدائع الزهور
[4] - ص ٣٠٠ ج١ الخطط المقريزية
[5] - ص ١٢٧ عرائس المجالس

والياقوت غيرها"[1]، وزعموا أن رجلاً من حضر موت اسمه "بسطام "دخل المغارة التي فيها ملك عاد، مع جماعة، وأخذوا منها ما شاء الله لهم أخذه من الجواهر واليواقيت"[2]، بل وقالوا: أن هذه المدينة دوماً "تدور في الأرض، فتارة في الشام، وتارة في اليمن، وتارة في الحجاز، وتارة في غيرها"[3].

فهل هذا هو المقصود بالعلامات الموضوعية التي حددها الله لنا؟ لا والله، فليس من أساطير تحتاج للعلامات، وأين تعب الحفر والتنقيب من إعمال المخيلة في صناعة الأساطير، وليس أسهل علينا من الكلام في حل المعضلات.

[1] - ص ١٢٩ نفسه
[2] - ص ١٣٠ نفسه
[3] - ص ١٢٠ ج١ البداية و النهاية

ـ صالح والثموديون:

دعوة الأنبياء واحدة: توحيد ينكر تعدد الآلهة، وبعث بعده حساب على ما جنت يد الإنسان في دنياه، فإما إلى الجنة وإما إلى النار. لقد أرسل الله صالح للثموديون قومه: "**وإلى ثمود أخاهم صالحاً**"[1]، وهم قوم كانوا بعد قوم عاد: "**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد**"[2]، وهم وعاد "لا يعرف خبرهما أهل الكتاب، وليس لهما ذكر في التوراة"[3].

إن للثموديين حضارة تميزوا بها: "و**بوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً**"[4], "**وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين**"[5]، "و**تنحتون من الجبال بيوتاً فارهين**"[6]، وكانوا أصحاب زراعة: "**أتتركون في ما ها هنا آمنين، في جنات وعيون، وزروع ونخل طلعها هضيم**"[7].

---

[1] ـ الأعراف: ٧٣
[2] ـ الأعراف: ٧٤
[3] ـ ص ١٢٣ ج١ البداية و النهاية. ص ٧٠ التنبيه و الإشراف
[4] ـ الأعراف: ٧٤
[5] ـ الحجر: ٨٢
[6] ـ الشعراء: ١٤٩
[7] ـ الشعراء: ١٤٦ ـ ١٤٨

وللتعرف عليهم ثلاث علامات: قصورهم في السهول، وبيوتهم منحوتة في الجبال، أي ليسوا بذوي قامات ضخمة كقوم عاد، وهم أصحاب زراعة.

لقد دعاهم صالح للتوحيد: "**اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**"[١]، فكذبوه، وطالبوه بآية أو معجزة، فكانت ابتلاؤهم بالناقة، فللناقة ان تأكل من أي أرض شاءت"[٢] ، كما أن الماء قسمة بينهم وبينها"[٣]، وإلا فالعذاب والدمار لا بد واقع عليهم، ولكنهم عجزوا عن الصبر عليها فعقروها: "فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح آتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين"[٤]، فكانت "الرجفة"[٥]، و "الصيحة"[٦]، و "الصاعقة"[٧]، "**فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية**"[٨]، "فثمود فما ابقى"[٩]، "فكانوا كهشيم المحتضر"[١٠].

---

[١] - الأعراف: ٧٣
[٢] - هود: ٦٤
[٣] - الشعراء: ١٥٥. القمر: ٢٨. الشمس: ١٣
[٤] - الأعراف: ٧٧
[٥] - الأعراف: ٧٩
[٦] - هود: ٦٧. الحجر: ٨٣. القمر: ٣١
[٧] - الذاريات: ٤٤. فصلت: ٤٤
[٨] - الحاقة: ٥
[٩] - النجم: ٥١
[١٠] - القمر: ٣١

أما مكانهم، فقد "كانوا ينزلون الحجر بين الشام والحجاز"[1]، "يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك"[2]، أو بين "الحجاز والشام"[3]، "وديارهم بفج الناقة"[4]، وقال ياقوت الحموي: "الحجاز هي ديار ثمود في وادي القرى، بين المدينة وسورية"[5]، وبطرس البستاني، قال: "ديارهم انتشرت في أرض تمتد من الحجاز حتى البلاد السورية"[6]، "ولما مرَّ الرسول صلى الله عليه وسلم بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد منهم هذه القرية، ولا تشربوا من مائها"[7]، والخبز الذي صُنع من ماء بئر ثمودي اعتبره النبي ص "نجساً فأطعمه للجمال"[8].

أما أجسامهم، فقد ذكر تعالى بيوتهم التي نحتوها في الجبال، وقصورهم التي بنوها بحجارة منحوتة من الجبال في سهولهم، اشارة لتمييز أجسامهم عن قوم عاد، حيث يستحيل على الجسم الضخم السكن في بيت محفور في صخر جبل، ويقول المسعودي: "بيوتهم إلى وقتنا هذا أبنية منحوتة في الجبال، ورسومهم باقية، وآثارهم بادية، وذلك في طريق الحاج

---

[1] - ص ٥٢ ج١ مروج الذهب
[2] - ص ١٣٠ ج١ البداية و النهاية
[3] - ص ٥٧ عرائس المجالس
[4] - ص ١٤ ج٢ مروج الذهب
[5] - ص ١٤ تاريخ ثمود
[6] - ص ١٥ نفسه
[7] - ص ٦٢ عرائس المجالس. ص ١٣٠ ج١ البداية و النهاية
[8] - ص ١٤ تاريخ ثمود

لمن ورد من الشام بالقرب من وادي القرى، وبيوتهم منحوتة في الصخر بأبواب صغار، ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا، وهذا يدل على أن أجسامهم على قدر أجسامنا دون ما يخبر به القُصاص من بُعد أجسامهم، وليس هؤلاء كعاد، إذ كانت آثارهم ومواضع مساكنهم وبنيانهم بأرض الشحر تدل على بعد أجسامهم"[١]، وابن خلدون يقول: "لم يكونوا بإفراط في مقادير أجسامهم، وإنما هذا رأي ولع به القصاص، وهي لا تزيد في جوها ومساحتها وسمكها على المتعاهد"[٢]، أما أبو الفدا فقد زعم "أن الثموديين قد امتازوا بطول قاماتهم"[٣]، و "البير براندن "عالم الآثار في العصر الحديث "استبعد رأي المصادر العربية التي ترى أن الثموديين كانوا طويلي القامة، وفقاً للنقوش والرسوم التي عثر عليها"[٤]، والشبهة في تعميم ضخامة أجسام الثموديين ناتجة عن عدم التمييز بين عاد وثمود، بقوله تعالى: "**وزادكم في الخلق بسطة** "الذي يخص عاد دون ثمود، وشبهة الذين ظنوا أن الثموديين كانوا متوحشين لذكر الله سكناهم في الجبال، أنهم لم يلاحظوا ذكر نحت الجبال الذي يحتاج إلى آلاته وأدواته المتقدمة، كما لم يلاحظوا ذكر قصورهم التي في سهولهم، فسكان الكهوف كما هو معلوم لم يكن لهم من

---

[١] - ص ١٤ ــ ١٥ ج٢ مروج الذهب
[٢] - ص ٣٤٥ مقدمة ابن خلدون
[٣] - ص ١٣ تاريخ ثمود
[٤] - ص ٤٦ نفسه

حيلة لنحت المساكن من الجبال حتى سكنوا الجاهز منها، فالثموديين كانوا في مرحلة متقدمة بالفعل، وما هم بالمتوحشين، وما بيتوهم الجبلية إلا كمنتجع يقيهم حر الصحراء الملتهب في الصيف. أما وأن الأنباط قد استخدموا تلك البيوت كمقابر لهم فهذا صحيح وتلك مسألة أخرى، وقال صاحب الأنساب: "ومن أهم ما عثر عليه من آثار ثمود هرم يعرف بقصر البنت وقبر الباشا والقلعة والبرج"[١].

ـ أساطير حول النبي صالح ومقتل الناقة:

الأساطير تجعلك على علم حي وكأنك معاصراً لتلك الأحداث بكل تفاصيلها وجزئياتها ولنستمع إلى ما يلي: "كان "كانوك "أبو صالح في خدمة الأصنام، ففي بعض الأيام سجد للصنم الكبير، فلما سجد نكس الصنم رأسه، فتعجب كانوك من ذلك، فأنطق الله الصنم وقال له: يا كانوك إن في ظهرك نبياً يبعثه الله إلى قبيلة ثمود"[٢]، فخشي كانوك من الأمر وهو المؤمن بالأصنام، فهرب ونام في غار نحو مائة سنة، فبحثت عنه زوجته، فلم تجده، فجاءها غراب قابيل ليدلها إلى مكان وجوده، وبلقائهما، واقعها كانوك ثم مات على الفور، ولما وضعت حملها أصبحت كل الأصنام منكوسة، فاغتم

---

١ ـ ص ٣٣ أنساب العرب
٢ ـ ص ٦٢ بدائع الزهور

الملك وسأل عن السبب "فدخل إبليس جوف الأصنام، وقال: يا آل ثمود ! ولد فيكم مولود يقال له: صالح، يفسد عليكم دينكم"[1].

وكان اسم الملك "جندع بن عمر ابن جواس"، ولما بلغهم صالح رسالته كذبوه، وطلبوا منه المعجزات، وقال جندع: "يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة، فإن فعلت ذلك صدقناك وآمنا بك"[2]، ولما خرجت الناقة من الصخرة "آمن جندع، وأراد أشراف ثمود ومعهم "رياب بن صمعر "أن يؤمنوا، فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب، صاحبا أوثانهم"[3]، وقال ابن عباس واصفاً الناقة: "كان طول الناقة سبعمائة ذراع، وعرضها مائة ذراع، فإذا أمسى المساء دخلت إلى المدينة، وطافت على دور القوم، تسلِّم، وتعطي اللبن، فكان القوم يخرجون بالأواني، ويضعونها تحت قدميها فتمتلئ"[4]، وشعر صالح ذات مرة أن خطراً ما سيحيق بالناقة، وبرواية السدي: "قال صالح لقومه: سيلد في هذا الشهر من سيقتل الناقة، وبالحماس الديني للمؤمنين قتل الآباء أولادهم الذين ولدوا، إلا واحداً لم يقتل ولده، فتحسر المؤمنون التسعة على أولادهم، فقرروا قتل صالح، وبينما هم في كهف يتآمرون، هبت عليهم الريح فقتلتهم، فنقم عليه أهل القرية، ورأوا أنه

---

[1] ـ ص ٦٢ نفسه

[2] ـ ص ٥٨ عرائس المجالس

[3] ـ ص ٥٨ نفسه

[4] ـص ٦٣ بدائع الزهور

من الظلم موتهم وهم الذين ضحوا بأولادهم، فعقروا الناقة"[١]، "وكان عقر الناقة الأربعاء"[٢].

أما كعب الأحبار فزعم: أن ملكة ثمود، نقمت على صالح لغاية في نفسها، فدبرت مكيدة مع "قطام "معشوقة "قدار"، و "قبال "معشوقة "مصدع"، فلما جاءا إليهن، امتنعتا عنهما إلا بشرط عقر الناقة، فعقراها إرضاءً لهن"[٣]. وبرواية أخرى: امرأتان ذواتا حسن وجمال "عنيزة بنت غنم وصدوف بنت المجبا زارهما رجلان من ثمود "قدار بن سالف "و "مصدع بن مفرج"، "فقالت صدوف: لو كان لنا في هذا اليوم ماء لأسقيناكما خمراً، وهذا يوم الناقة في الماء، وقالت عنيزة: لو أن لنا رجالاً لكفونا إياها. فقال قدار: يا صدوف إن أنا كفيتك أمر الناقة فما لي عندك؟ فقالت: نفسي"[٤]، فخرجا، وبالاستعانة بتسع رهط، عقروا الناقة ثم ذبحوها، ووزعوا لحمها، وبعدها جاءهم العذاب والدمار. وهنا رواية أخرى تقول: أن "صدوق دعت رجلاً يقال له خباب من ثمود وأغرته بنفسها إن عقر الناقة، فأبى، ثم دعت ابن عمها "مصدع بن مهرج "على شرطها فأجابها، ودعت عنيزة، قدار بن سالف واسم امه قديرة، فقالت له: اعطيك من بناتي

[١] - ص ٦٠ عرائس المجالس
[٢] - ص ٦١ نفسه
[٣] - ص ٦٠ – ٦١ نفسه
[٤] - ص ١٦ – ١٧ ج٢ مروج الذهب

أيما شئت على أن تعقر الناقة، فانطلق قدار ومصدع، ولقيهم في الطريق "هديان ابن مبلغ "خال قدار، و "ذعر بن الغنم بن داعرة "أخو مصدع وخمس أخر، فاجتمعوا وعقروا الناقة"[1]، ولما علم صالح بمقتل الناقة، هرع إلى فصيلها، حتى لا يقع العذاب على القوم "فأوحى الله إلى الجبل، فتطاول في السماء حتى ما تناله الطير، ثم "انفجرت الصخرة فدخلها"[2]، أما ابن اسحق فقال: أن أربعة من الذين عقروا الناقة قد قتلوا فصيلها أيضاً.

ولكن ما رصيد هذه الأساطير في الإيهام؟ هو ما يلي:

١ – استخدامهم لأسماء الصحابة المشهورين، ونسب رواياتهم لهم.

٢ – استغلال المذكور في القرآن وإدراجه في بنية الأسطورة.

٣ – اختلاقهم لأسماء أشخاص الأسطورة، وكأنما يتحدثون عن واقع حي.

٤ – استغلالهم للحماس الديني، وقدرة الله، لجعل تخاريفهم على محمل المعجزات المسلَّم بها عند المؤمنين.

[1] - ص ٥٩ – ٦٠ عرائس المجالس

[2] - ص ٦١ نفسه

أما مقتلهم فقد تمثل في انحراف الرواة عن معنى القرآن ومقاصد العقيدة، وزيادتهم على المسكوت عنه بالظن والتهويل والتهيؤات، وتناقض رواياتهم حول الموضوع الواحد الذي تدور أساطيرهم حوله، ولو سألنا الصحابة عن المنهج المعرفي لهؤلاء لأنكروه أشد الإنكار، ولعاقبوهم عليه أشد العقاب، ففي سنة ٦٥ هـ "عزل ابن الزبير أخاه عبيد الله عن إمرة المدينة وولاها أخاه مصعباً، وذلك أن عبيد الله خطب الناس فقال في خطبته: وقد رأيتم ما صنع الله بقوم صالح في ناقة قيمتها خمسمائة درهم. فلما بلغت أخاه، قال: إن هذا لهو التكلف، وعزله، ويسمى عبيد الله: مقوِّم الناقة"[١].

فإذا عزله على التكلف في التفسير، فماذا سيكون عقاب المختلق للأساطير التي ما أنزل الله بها من سلطان؟!

---

[١] - ص ٢٦٢ ج٨ البداية و النهاية

- إبراهيم وأسطورة النمرود:

ولد إبراهيم كما يروى سنة ١٩٦٨ ق.م، في بلاد ما بين النهرين، أما أسم ابيه، فحسب الاختلاف في القراءات القرآنية وبالبحث عن المعنى اللغوي إلى لفظة "آزر"، قال بعضهم: أن آزر ليس باسم لأبي إبراهيم، إنما هو اسم لصنم، أو نعت للقيّم على الأصنام، وقال ابن اسحق: أن آزر ليس أسماً لصنم "بل هو لقب لعيب به، وهو بمعنى معوج"[١] أو أعرج، أما أسمه فهو "تارح"، وقال البعض الآخر أن أسمه "آزر "كقراءة صحيحة لقوله تعالى: "**وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة**".

"نمروذ بن كوش "حسب الطبري، هو الملك الذي ارتبط أسمه بإحراق إبراهيم، وقيل: لما حملت به أمه، تشاءم منه أبوه بناء على نبوءة فأمر بقتله، فطرحته أمه في البرية، ولما وجدته حياً، لأن الوحوش كانت تخشاه، رمته تارة أخرى في النهر، فأخرجه الماء إلى اليابسة، فأخذته نمرة، ثم راحت ترضعه، ولهذا سمي النمروذ، ولما وجده أهل قرية عاش بينهم، ولما نشبت الحرب بين هذه القرية وقومه، قتل النمروذ أباه وصار المُلك بيده"[٢]، "وقال السدي: ثم رأى نمروذ في منامه كأن كوكباً طلع، فذهب

---

[١] - ص ٦٣ عرائس المجالس

[٢] - ص ٦٥ – ٦٦ بدائع الزهور

بنور الشمس والقمر، ففزع إلى السحرة لتأويله، ثم أمر بذبح كل غلام يولد في تلك الناحية تلك السنة، وأمر بعزل الرجال عن النساء"[١]. وقال محمد بن اسحق: أنه حبس لديه كل امرأة حبلى إلا امرأة آزر حيث لم يظهر عليها الحبل، و ابن عباس يقول: "فلما دنت ولادة أم إبراهيم، وأخذها المخاض، خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها، فوضعته في نهر يابس ثم لفَّته في خرقة ووضعته في حلفاء، وقال السدي: لما عظم بطن أم إبراهيم خشي آزر أن تذبح فانطلق بها إلى أرض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء، فأنزلها في سرب من الأرض وجعل عندها ما يصلحها"[٢].

إبراهيم دعا قومه إلى التوحيد ونبذ الأصنام، وساجلهم كثيراً وساجلوه، وبنفاذ صبره أمام عنادهم، قالم بتحطيم أصنامهم، فقرروا إحراقه بالنار عقاباً له، فأمر النمروذ "بجمع الحطب على البغال من الجبال، فلذلك – كما قال السدي – قطع الله نسل البغال"[٣]، كما قال: "كانت النار في قرية يقال لها الغوطة، وحر النار وصل إلى دمشق الشام"[٤]، "وقال عبد الله بن عمر: إن الذي أشار عليهم بتحريق إبراهيم عليه السلام بالنار رجل من

---

[١] - ص ٦٣ – ٦٤ عرائس المجالس
[٢] - ص ٦٤ نفسه
[٣] - ص ٦٧ بدائع الزهور
[٤] - ص ٦٨ نفسه

الأكراد. قال شعيب الجبائي: أسمه "هينون"، فخسف الله به الأرض، وهو يتجلجل بها إلى يوم القيامة"[1].

ثم جيء بالمنجنيق "بإشارة إبليس لعنه الله تعالى"[2]، وقذفوا به إبراهيم إلى النار، وفي رواية تفرد بها أحمد في مسنده "عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن إبراهيم لما ألقي في النار، جعلت الدواب كلها تطفئ عنه إلا الوزغ، فإنه جعل ينفخ عليه"[3]، فلذلك كما يقول السدي "أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقاً"[4]، ونجى سبحانه تعالى إبراهيم من النار، وعقد نمروذ العزم على محاربة الله عز وجل في عقر داره إن صح التعبير، فبنى الصرح ليصعد إليه، "قال ابن عباس ووهب بن منبه: كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع. وقال مقاتل وكعب: كان طوله فرسخين، ثم عمد إلى أربعة أفراخ من النسور، فعلفها اللحم والخبز ورباها، ثم قعد في تابوت ومعه غلام، وقد حمل قوسه ونشابه، ثم ربط التابوت بأرجل النسور، وعلق اللحم على عصى فوق التابوت، ثم خلى عن النسور، فطارت وصعدت طمعاً في اللحم فإذا الأرض سوداء مظلمة، قال عكرمة: فأمر عند ذلك غلامه، فرمى بسهم، فعاد إليه السهم متلطخاً بالدم، فقال:

---

[1] - ص ٦٠ عرائس المجالس
[2] - ص ٦٧ نفسه
[3] - ص ٢٤٧ ج١ البداية و النهاية
[4] - ص ٦٨ عرائس المجالس

كفيت شغل إله السماء"[1]، فعاد السهم إليه "وهو ملطخ بالدم "ففرح النمرود بذلك وقال: قتلت إله السماء. وقال عكرمة: إن السهم أخذته سمكة، وقربت نفسها قرباناً إلى الله تعالى فأصابها، فذلك الدم منها، وهي في بحر بين السماء والأرض"[2]. فانتقم الله منه بأضعف خلقه، وفي تفسير مقاتل بن سليمان، في تفسيره لقول الله تعالى: "**ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه..**"، "أن الله عز وجل سلط على نمروذ بعوضة بعد ما أنجى الله إبراهيم من النار فعضت شفته، فأهوى إليها فطارت في منخره، فذهب ليأخذها ويستخرجها، فدخلت في خياشيمه، فذهب ليستخرجها فدخلت دماغه، فعذبه الله بها أربعين يوماً، ثم مات منها، وكان يضرب رأسه بالمطرقة، فإذا ضرب سكنت البعوضة، وإذا رفع عنها تحركت"[3].

فقد تحدى النمروذ إله إبراهيم، وطلب نزوله إلى الأرض لحربه، فأرسل الله له البعوض، فأكلت جيشه، ثم سلط عليه "بعوضة ضعيفة "بجناح واحد وهي أصغر البعوض، فدخلت أنفه، وصعدت إلى دماغه، ومكثت في رأسه أربعين سنة، فكان يأمر غلمانه أن يضربوه بالنعال على رأسه، فيجد بذلك راحة، فلما طال عليه الأمر، ضربه أحد خدامه بحجر على رأسه

---

[1] - ص ٨٤ عرائس المجالس. ص ١٧٣ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[2] - ص ٧٤ بدائع الزهور
[3] - ص ٨٤ الإسرائيليات

فانفلق، فخرجت تلك البعوضة وهي مثل العصفور، تقول: هذا جزاء عدو الله، وذهبت وأهلك الله النمروذ"[1]، وقيل: "فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق"[2]، "ثم أكلت دماغه"[3].

وعن التفسير بالاختلاق لقوله تعالى لإبراهيم "**فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك**.."، "قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أخذ طاوساً ونسراً وغراباً وديكاً، وقيل: أخذ حماماً وغراباً وديكاً وبطة. وقال مجاهد وعطاء وابن جريج: أخذ طاوساً وديكاً وحماماً وغراباً. وقيل: بطة خضراء وغراب أسود، وحمامة بيضاء، وديكاً أحمر"[4].

ولما هاجر إبراهيم من أور الكلدانيين إلى حاران بين النهرين، ثم إلى الأرض المقدسة، فلسطين، أرض الكنعانيين، قيل: أنها مقدسة لأن فيها صخرة المقدس، حيث قال "أبي بن كعب: ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس، ثم يتفرق في الأرض"[5].

ولما وقع الخلاف والغيرة بين زوجتي إبراهيم: سارة وهاجر، حلفت سارة لتقطعن بضعة من هاجر ولتغيرن خلقها، وحتى لا يكون حنث ليمينها

---

[1] - ص ٧٤ بدائع الزهور
[2] - ص ١٧٣ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[3] - ص ٨٥ عرائس المجالس
[4] - ص ٦٦٣ ج١ حياة الحيوان الكبرى
[5] - ص ٦٩ عرائس المجالس

"قال لها إبراهيم: إخفضيها واثقبي أذنيها، ففعلت ذلك، فصارت سنة في النساء"[1]، وأصبحت الآذان تزين بالأقراط عند كل النساء، وأخيراً طلبت سارة بإبعاد هاجر عنها إلى الأبد، وكان أن أخذ إبراهيم هاجر وولدها إسماعيل إلى الصحراء عند مكة، وبرؤيته للمنام الذي فيه ذبح ولده، أذعن إسماعيل لأمر الله، ولما هم إبراهيم بذبحه وإذ السكين لم تذبح، فقذفها من يده، فأنطقها الله تعالى: "كيف أقطع من نحر إسماعيل، ونور محمد صلى الله عليه وسلم في جبهته يلمع؟"[2]، وفداه الله بكبش عظيم، ولكن لم اختار الله الكبش؟ "الجواب: إن إبراهيم لما أخذ الحبل والمدية، قال إسماعيل: وما تصنع بهما؟ قال: أذبح كبشاً، فصدَّق الله قول خليله"[3].

ولتفسير قوله تعالى: "**وفديناه بذبح عظيم** "أي: كبش عظيم، "قال السدي: كان هذا الكبش قدر الفيل العظيم، وكانت قرونه وحوافره من الذهب الأحمر، وليس به عظم، بل كله لحم وشحم، لم يكن على بدنه صوف، وكان يرتع في رياض الجنة"[4]. وقال ابن عباس: الذبح العظيم هو كبش من الجنة، أعين أبيض أقرن، رعى في الجنة أربعين سنة. وعلي بن أبي طالب قال: هو كبش أبيض أقرن أعين، وابن عباس قال: هو نفسه الكبش الذي قربه

---

[1] - ص ٧١ عرائس المجالس. ص ٦٩ بدائع الزهور
[2] - ص ٧٣ بدائع الزهور
[3] - ص ٧٣ بدائع الزهور
[4] - ص ٧٣ بدائع الزهور

هابيل لما اختلف مع أخيه قابيل، أو هو وعل. وسعيد بن جبير يقول: كبش من الجنة، رعى فيها أربعين سنة، وهو كبش أملح صوفه مثل العهن الأحمر، وقال الحسن: هو تيس من الأروى"[١]، ولكن "ورد في الحديث أنه كان كبشاً"[٢]. وقال ابن عباس: كان "رأس الكبش معلق بقرنيه في ميازيب الكعبة، قد وخش، يعني يبس"[٣]، وكعب الأحبار كأحد رواة الأساطير في العالم الإسلامي، ومن حيث هو يهودي الأصل، زعم أن الذبيح هو اسحق وليس بإسماعيل"[٤].

ولتحديد مكان البيت، الذي أمر الله إبراهيم ببنائه، قال علي بن أبي طالب: "فأرسل الله عز وجل السكينة وهي ريح خجوج، لها رأسان فاتبع أحدهما صاحبه، حتى انتهيا إلى مكة، فتطوقت على موضع البيت، وقال آخرون: أرسل الله تعالى إليه سحابة على قدر الكعبة، وقال بعضهم: أن الذي خرج مع إبراهيم هو جبريل عليه السلام.

ثم قال إبراهيم لإسماعيل: إئتني بحجر حسن، أضعه على الركن ليكون علماً للناس، فناداه الجبل أبو قبيس: يا إبراهيم إن لك عندي وديعة،

---

[١] - ص ١٦٦ – ١٦٧ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[٢] - ص ١٥٨ ج١ البداية و النهاية
[٣] - ص ٨٣ عرائس المجالس
[٤] - ص ١٥٩ ج١ البداية و النهاية

فهاك فخذها، فأخرج إبراهيم عليه السلام الحجر الأسود من جبل أبي قبيس وركَّبه في موضعه"[1]، "وروى الواقدي: أن إبراهيم لما احتفر أساس البيت رأى حجراً من رخام أخضر عليه أربعة أسطر، السطر الأول مكتوب عليه: أنا الله لا إله إلا أنا رب البيت، فعليها وهي غزار، ومرخيها وهي قفار، والسطر الثاني مكتوب: أنا الله لا إله إلا أنا رب البيت، مهلك الطغاة ومفقر الزناة، ومخزي تارك الصلاة، والسطر الثالث مكتوب: أنا الله لا إله إلا أنا أرزق من لا حيلة له، حتى يعلم من حيلة له الآن لا حيلة له"[2].

ملاحظة: إن من جملة أغراض الأساطير الانتصار للنبوءة أو لحلم القدر، لبيان أنه مهما اجتهد الإنسان للحيلولة دون تحققه، فجهده ضائع ولا سبيل للنجاة منه أو من النبوءة، فالنبوءة تقول بقتل النمروذ لأبيه ليكون ملكاً لم تمنعها محاولة أبويه لقتله، فالوحوش تخشاه، والنهر قذفه إلى اليابسة، والنمرة أرضعته، وبأهل قرية احتضنوه، قتل أباه وأصبح ملكاً على قومه، وبنبوءة الأحلام وتأويل السحرة أو الكهنة لم يستطع نمروذ قتل إبراهيم رغم مطاردته الحبالى، رغم منعه الرجال عن النساء.

[1] - ص ٧٧ عرائس المجالس

[2] - ص ٧١ بدائع الزهور

صناع الأساطير المسلمين، اختلقوا هذه القصص مضاهاة لأساطير القدماء، أو مضاهاة لما حدث لموسى عليه السلام، ولكن قصة موسى واقع أُخذ عن خبر لا شك فيه للمؤمن، وبأكاذيبهم التفسيرية لعقم البغال عن طريق اللعنة زعموا أنها كانت ولودة قبل أن بُعث إبراهيم عليه السلام، وتفسيراً لزينة النساء آذانهم بالأقراط، زعموا فتوى إبراهيم لقسم سارة واستهزاء بالعقول زعموا أن كردياً هو الذي أشار إلى عقاب إبراهيم بالنار، وتفسيراً للأرض المقدسة زعموا أن تحت صخرة المقدس مصدر كل ماء عذب على الأرض، وبالحماس الديني زعموا أن سكين إبراهيم تكلمت بالبشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأن الجبل تكلم مفصحاً عما لديه من أمانة، وأن الله كتب أربعة أسطر على حجر وضعه في أساس البيت العتيق، الذي تم تحديد مكانه بزعمهم بالريح الخجوخ، أو الغيمة، أو جبريل، وباللامعقول اختلفوا حول الذبح العظيم بأوصافه ونوعه وشكله ومصدره، فهو من الجنة أو من هابيل أو وعل أو تيس أو كبش كالفيل، كما اختلف ابن عباس ومجاهد وعطاء وابن جريج حول تحديد طيور معجزة إبراهيم، ولكل منهم زعمه. فالاختلاف لا بد منه طالما لا حسم موضوعي لأمثال هذه القضايا اللامدركة، بل ومن المحال لأحدهم تكذيب الآخر كما المحال في تصديقها عقلاً وعقيدة.

إن قضية الصعود إلى السماء بالنسور، إلى الله، أمر معروف في الأساطير الوثنية، أما قوله بالصرح الذي ارتفاعه ٥٠٠٠ ذراع أو فرسخين، وقولهم بالبحر الذي بين السماء والأرض، بهذا تفوق هؤلاء الرواة على أساطير الوثنيين، حيث قطعوا كل صلة بين المعقول واللامعقول. فإذا كانت الأساطير بطبيعتها وأغراضها تستند بالأساس إلى شيء ما موضوعي، فهنا لا وجود لأي أساس موضوعي على الإطلاق، إلا الاختلاق. وانتقاماً من نمروذ جعلوا هلاكه بعوضة دخلت دماغه، ثم راحوا يضربون رأسه بالأحذية لمدة أربعين سنة، حتى أكلت دماغه، أو حتى ضربوه بحجر من خادمه، وإذ بالبعوضة قد أصبحت بحجم العصفور، وذات لسان فصيح.

إن الأساطير لا قيام لها دون الاعتقاد بإحيائية المادة، وقد أفصح صناعها عن اعتقادهم هذا صراحة ودون مواربة: القمر كائن حي، الرعد كائن حي، وكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة لها عقل وإرادة، بل هي الآلهة نفسها، أما هؤلاء الرواة فقد عبروا عن إحيائية المادة دون زعمها كعقيدة لهم، فالجبل يتكلم، البعوضة تتكلم، السكين تتكلم، ولو لم يعتقدوا العقل بالبغال، أو الوزغ ما قالوا بعقابهم، وهؤلاء الرواة برأيي وكأنما يمثلون الحلقة الوسطى بين الإسلام والأديان الوثنية، وبحكم موقعهم كان أثر البيئة الثقافية التي كانوا عليها قوياً جداً، ومن ذاكرتهم التي دخلها التشوه عن

القدماء، آثروا دمج القديم بالحديث، فكان اختلاقهم لتلك الأساطير، ونجحت المحاولة وبارك السذج من الدعاة والوعاظ كل جزئية من جزئيات تلك الأساطير المستحدثة حتى أصبحنا وكأن لا إيمان لمن يملك العقل، وزنديق كل من أنكر تلك الأساطير !

ـ لوط والتفسير الأسطوري:

قليلة هي الأساطير التي ارتبطت بقصة لوط عليه السلام، فقد انشغلوا بتحديد القرى التي أرسل إليها، فقالوا: "كانت قرى قوم لوط خمس: سدوم وعامورة ودومة وساعورة، وصفرة التي نجت من العذاب لأن أهلها آمنوا بلوط"[١]، وقيل: "هي سدوم، عمورة، أدمونا، صاعورة، صابورة"[٢]، ومحمد بن كعب القرضي قال: "كن خمس قريات: صبعة، وصعرة، وعمرة، ودومة، وسدوم هي القرية العظمى"[٣]، والمسيب زعم معرفة أسم امرأة لوط، فقال: "وكانت تسمى "هلسفع"، وقال غيره: أسمها "واعلة""[٤]، وعن خيانتها زوجها لوط، قالوا: "كانت امرأة لوط إذا دخل إلى منزلها ضيوف، ترسل تُعلم القوم بهم، ولها أمارة، وهي أن ترسل رسولها لتطلب من جيرانها ملحاً، فيعلمون أن في منزل لوط أضيافاً"[٥]، ولهذا مسخها الله ملحاً لما وقع عليهم العذاب"[٦]، ومن أجل التسويق السياحي في الأردن كان زعم سنة ١٩٩٠ م، القائل بالعثور على مسخ الملح لزوجة لوط"[٧].

---

[١] ـ ص ٩٣ عرائس المجالس
[٢] ـ ص ٥٧ ج١ مروج الذهب
[٣] ـ ص ١٨٣ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[٤] ـ ص ٩٣ عرائس المجالس
[٥] ـ ص ٧٧ بدائع الزهور
[٦] ـ ص ٧٨ نفسه
[٧] ـ ص ١٤٣ العرب و الساميون

- يوسف بين القرآن والأساطير:

إن من جملة أغراض الأساطير تفسير ظواهر الطبيعة، كيف أتت بداية إلى الوجود، أي إله هو الأب، وأي إلهة هي الأم للظاهرة موضوع التفسير، أما أساطير الرواة فاتجهت نحو تفسير النص القرآني، أو لتفسير لما قال الله هذا القول أو ذاك، عن طريق اختلاق السبب المؤدي لذلك القول.

لقد ابتلي يعقوب بفراق ابنه سنين عديدة، ولا بد برأيهم من ذنب اقترفه يعقوب حتى كان هذا البلاء، وقال ابن عباس: إنما كان سبب بلاء يعقوب، أنه ذبح شاة وهو صائم، فاستطعمه جار له، فلم يطعمه، فابتلاه الله بأمر يوسف"[1]، ووهب بن منبه الذي أصبح وكأنه من أهل الأحاديث القدسية مع الله، يقول: "أوحى الله تعالى إلى يعقوب: أتدري لم عاقبتك، وحبست عنك يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا يا إلهي، قال: لأنك شويت عناقاً وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه. وقيل: أن سبب ابتلاء يعقوب بفقد يوسف أنه كان له بقرة، ولد لها عجل، فذبح عجلها بين يديها، وكانت تخور ولم يرحمها يعقوب، فآخذه الله بذلك، فابتلاه بفقد أعز أولاده إليه"[2]. أما عزرائيل، فقال: لأنه اشترى جارية وفرق بينها وبين أبويها"[3]، وحتى المتسولين بعبادتهم

[1] - ص ١٠٢ عرائس المجالس
[2] - ص ١١٩ نفسه
[3] - ص ١٢٠ نفسه

زعموا أن الله ابتلاه بفقد بصره، لأنه لم يطعم تميم العابد من شواء صنعه"[1].

وبعض الذين طلبوا تحري العدل: زعموا أن يوسف هو المذنب حتى عوقب، لأنه نظر إلى وجهه يوماً في المرآة، فأعجبه حسنه، فقال في سره: لو كنت مملوكاً ما قدر أحد على ثمني، فسلط الله عليه إخوته، فباعوه بأبخس الأثمان"[2].

وعن السبب في كيد أولاد يعقوب بأخيهم يوسف وحقدهم عليه، قالوا إضافة إلى حلم السجود: كان ليعقوب شجرة في داره، فكلما ولد له ولد، خرج منها غصن، إلا يوسف، ولما سأل يوسف أباه عن عدم ذكره في الشجرة، هبط جبريل بقضيب زبرجد أخضر من الجنة، فحقدوا عليه لهذه الكرامة، كما رأى حلماً ذات مرة أنه زرع غصناً وإخوته زرعوا أغصانهم، فنبت غصنه واقتلعت الريح أغصانهم، فحقدوا عليه"[3].

لما طلب أولاد يعقوب من أبيهم أن يأخذوا معهم يوسفاً ليرتع ويلعب، قال وقد توجس الشر فيهم: "**وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون**"، ولتفسير قوله هذا "قال ابن عباس وغيره: إنما قال ذلك لأنه رأى في منامه كأن يوسف على رأس جبل، وكأن عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليأكلوه،

---

[1] - ص ١٢٠ نفسه
[2] - ص ٧٨ بدائع الزهور
[3] - ص ٩٦ – ٩٧ عرائس المجالس

وإذا ذئب منها يحمي عنه، وكأن الأرض قد انشقت، فدخل فيها يوسف، فلذلك قال لهم ما قال"[1].

قذفوا يوسف في الجب "وقال السدي: إن الذي حفر هذا الجب هو سام بن نوح، وسماه بيت الأحزان، وكان من أسفله واسعاً ومن أعلاه ضيقاً، وكان مظلماً كثير الهوام، وكان ماؤه مالحاً وطوله نحو أربعمائة ذراع"[2]، وكان عمره حين ألقوه في الجب "سبع عشرة سنة"[3]، والذي أشار عليهم بإلقائه في الجب دون قتله رأفة به، هو "يهوذا "ابن خالته، ولكن الله هو الأرحم "فأخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة ململمة لينة، رفعها إلى يوسف، فوقف عليها، كما نوَّر له الجب، وعذُب ماؤه، حتى كان يغنيه عن الطعام والشراب، وبعث الله تعالى إليه ملكاً فحل عنه قيده"[4]، وألبسه جبريل قميص حرير من الجنة، كما أتاه بسفرجلة منها أطعمه إياها، ثم أتاه سبعون ملكاً آنسوه في وحدته حتى كان إخراجه.

تركوه في الجب، ثم جاؤوا أباهم يبكون، لقد أكله الذئب، فطالبهم بالذئب الذي افترسه، فجاءوه بواحد "فقال له يعقوب: أكلت ولدي؟ فتكلم

---

[1] - ص ٩٨ نفسه
[2] - ص ٧٩ بدائع الزهور. ص ٩٩ عرائس المجالس
[3] - ص ١٠٠ بدائع الزهور
[4] - ص ٩٩ عرائس المجالس

الذئب وقال: لا وحق شيبتك"[1]، "والذي اصطفاك نبياً ما أكلت لحمه، ولا فرقت جلده، ولا نتفت شعرة من شعره، فإن لحوم الأنبياء حرمت علينا وعلى جميع الوحوش"[2]، فأطلقه يعقوب وزجر أولاده.

ولما أخرجه السيارة من الجب، باعه "مالك بن دعر "وهو رجل من العرب من أهل "مِدين"[3] إلى عزيز مصر "قطفير بن رحيب"، وعن ثمنه "قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي: عشرون درهماً، أو "عشرين ديناراً وزوج نعال وثوبين"[4]، وقال مجاهد: اثنان وعشرون درهماً، وقال عكرمة: أربعون درهماً"[5]، وقال وهب بن منبه: "بلغ ثمنه وزنه مسكاً وورقاً وحريراً، فابتاعه قطفير بهذا الثمن"[6]

لقد اشتراه عزيز مصر قطفير، وقال ابن اسحاق: "كان قطفير لا يأتي النساء، وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة"[7]، وابو هاشم الرفاعي قال: "أن اسمها بكا بنت فيوش"[8]، أعجبت بالفتى، حتى خلب لبها، فراحت تطارحه الغرام تلو الغرام، وراودته عن نفسها، حتى هم بها، فقال ابن

---

[1] - ص ١٠١ نفسه
[2] - ص ٢٥١ الإسرائيليات
[3] - ص ٢٠٢ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[4] - ص ١٠٣ عرائس المجالس
[5] - ص ١٠٢ عرائس المجالس
[6] - ص ١٠٢ نفسه
[7] - ص ١٠٤ نفسه
[8] - ص ١٠٣ نفسه

عباس: "فجرى الشيطان فيما بينهما، فضرب بإحدى يديه إلى جنب يوسف وباليد الأخرى إلى جنب المرأة حتى جمع بينهما، فبلغ من هم يوسف أن حل الهيمان، وجلس منها مجلس الخائن"[1]، واعترف يوسف بفعلته هذه، فلما قال يوسف: "ليعلم أني لم أخنه بالغيب"، قال له جبريل: ولا حين هممت بها يا يوسف؟ فقال يوسف عند ذلك: وما أبرئ نفسي.."[2]، وعن ابن عباس أيضاً: "همت بيوسف أن يفترشها، وهمَّ بها يعني تمناها أن تكون له زوجة"[3]، وقيل "الهم "هو أمر نفسي "ومعنى الهم بالشيء: ما حدَّث المرء به نفسه، ولم يفعل ذلك بعد"، وقيل: "هم بها، أي: أي ترك، همت به، أي: هم فعل، ولكن هم الترك لا يحتاج إلى برهان طالما الترك موجود، وقال السدي: لما ذهب يوسف لحل سراويله، رأى أباه يعقوب عاضاً على يده أو أصبعه "[4]، وابن عباس قال: "مُثِّل له يعقوب فضربه بيده على صدره، فخرجت شهوته من أنامله، وقال الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك: انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضاً على أصبعه، فاستحيا منه. وقال السدي: نودي يا يوسف لا تواقعها، وعن ابن عباس أيضاً: فإذا بكف قد بدت فيما بينهما لها عضد ولا معصم، مكتوب فيها: "و**إنا عليكم لحافظين**

[1] - ص ١٠٥ , ٢٠٤ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[2] - ص ١١١ عرائس المجالس
[3] - ص ١٠٥ نفسه
[4] - ص ٢٠٤ ج١ تاريخ الأمم و الملوك

كراماً كاتبين""[1]، وقيل: نودي من جانب البيت: أتزني، وقيل: رأى في الحائط مكتوباً: "ولا تقربوا الزنا"[2]، وفي رواية "أنه رأى جبريل فنهاه عن ذلك، وقال له: إن فعلت ذلك محيت اسمك من ديوان الأنبياء"[3]، أما علي بن الحسين رضي الله عنهما "قال: قامت امرأة العزيز إلى الصنم فضللت دونه بثوب، فقال لها يوسف: ما هذا؟ قالت أستحي أن يرانا. فقال يوسف: أتستحين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه، ولا أستحي أنا ممن خلق الأشياء وعلِمها. قالوا: فلما رأى يوسف البرهان قام مبادراً إلى باب البيت هارباً مما أرادته، فاتبعته "و**استبقا الباب** "يوسف وراعيل، أما يوسف ففراراً من ركوب الفاحشة، وأما راعيل فطلباً ليوسف"[4]، أما السدي فقال: بعد ما حل يوسف السراويل، استعصم، ولا أدري ما بدى له"[5].

أما الشاهد الذي برأ يوسف، استنتاجاً من القميص الذي قُدَّ من دبر، فهو كما قال السدي: "ابن عم راعيل، كان جالساً مع زوجها على الباب، فحكم ببراءته، وقال سعيد بن جبير والضحاك وابن عباس: كان صبياً في المهد أنطقه الله تعالى"[6]، "عمره سبعة أيام، وهو ابن داية زليخة أو راعيل،

---

[1] - ص ١٠٥ عرائس المجالس
[2] - ص ٢٠٤ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[3] - ص ٨١ بدائع الزهور
[4] - ص ١٠٦ عرائس لمجالس
[5] - ص ٢٠٦ تاريخ الأمم و الملوك
[6] - ص ١٠٦ عرائس المجالس

فنادى بأعلى صوته: "إن كان قميصه قُدَّ من قُبل فصدقت وهو من الكاذبين.."[١]، واقتنع زوجها ببراءة يوسف، فأمر زوجته بالاستغفار، ولم يطرد يوسف من بيته، ولهذا قيل أنه كان عنيناً لا يصلح للنساء. وانتشرت في المدينة قصة براءة يوسف، ولما وقع اللوم على زوجة العزيز، دعت مجموعة من النساء إلى بيتها، لتريهم عذرها إن رأوه، وقال ابن اسحق: "دعت أربعين امرأة"[٢]، "قطعن أيديهن"، وقال وهب بن منبه: "كان عدة النسوة اللائي افتتنَّ بيوسف أربعين امرأة، فمات منهن تسع نسوة وجْداً بيوسف"[٣]، أو سبعاً "اعتدت لهن أترجاً وبطيخاً وموزاً ورماناً ووردا"[٤]، "فقالت النسوة ليوسف: أطع مولاتك. فقالت راعيل: لأن لم يفعل ما آمره به ليسجنن وليكونن من الصاغرين، فقال: رب السجن أحب إلي.. فصرف عنه كيدهن"[٥].واقتيد يوسف إلى السجن، وزاره جبريل "مرة ومعه ياقوتة من يواقيت الجنة، وقال له: يا يوسف ابتلع هذه الياقوتة، فابتلعها، فكانت علامة لتعبير الرؤيا"[٦]، أي: أصبح عالماً بتعبير الرؤيا. وكان معه سجينان "أحدهما أسمه محلب، وهو الذي ذكر أنه رأى فوق رأسه خبزاً، وأسم

---

[١] - ص ٨٢ بدائع الزهور
[٢] - ص ١٠٧ عرائس المجالس
[٣] - ص ٨٣ بدائع الزهور
[٤] - ص ١٠٧ عرائس المجالس
[٥] - ص ١٠٧ نفسه
[٦] - ص ٨٣ بدائع الزهور

الآخر نبو"[1]، ساقي الملك. وذات مرة عبر لكليهما الرؤيا، وبشر نبو بالفرج على أن يذكره عند الملك، ولكنه نسي "وقال وهب بن منبه: فلبث في السجن ست سنين بعدد حروف "أذكرني""[2]، وقال عبد الله بن مسعود: "ما رأى صاحبا يوسف شيئاً، وإنما كانا تحالما ليجربا علمه"[3].

وأخيراً تم الإفراج عن يوسف، وبموت قطفير أصبح يوسف عزيز مصر، وزوَّج "الملك يوسف براعيل امرأة قطفير، فلما بنى بها وجدها عذراء"[4]. بل جبريل هو الذي أمر يوسف بالزواج من زليخا أو راعيل "فقال له يوسف: كيف أتزوج بها وهي عجوز عمياء؟ فقال جبريل: إن الله تعالى يرد عليها بصرها وجمالها، فعند ذلك تزوج بها يوسف، وأسلمت على يده، ورد الله لها حسنها وجمالها وبصرها، فعادت أحسن ما كانت عليه، فوجدها بكراً"[5].

يوسف عزيز مصر "كان إذا سار في أزقة مصر يُرى تلألؤ وجهه على الجدران، كما يُرى نور الشمس والقمر على الجدران"[6]، "وقال الكسائي: لما كان أواخر السنة السابعة من سني القحط، فرغ القمح من عند

---

[1] - ص ٢٠٧ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[2] - ص ٨٤ بدائع الزهور
[3] - ص ١٠٨ عرائس المجالس
[4] - ص ١١٢ نفسه
[5] - ص ٨٦ – ٨٧ بدائع الزهور
[6] - ص ٩٥ عرائس المجالس

يوسف الصديق والغلال، فكان الناس إذا نظروا إلى وجهه يشبعون برؤية وجهه، فكانوا يقصدونه بكرة وعشياً لرؤيته، فتغنيهم عن زاد بقية العام السابع، حتى أدرك الزرع"[١].

ومر القحط على ديار يعقوب، وقد حلق الأخضر واليابس، فأرسل بنيه إلى مصر علَّهم يأتون بشيء من الغلال يسد عوزهم، وفي قصة الصواع كما يقول السدي، أو بذكر بيعهم أخاهم، غضب روبيل أخو يوسف، فقال: "أيها الملك! والله لتتركنا أو لأصيحن صيحة لا تبقي بمصر حامل إلا ألقت ما في بطنها، وقامت كل شعرة في جسد روبيل، فخرجت من ثيابه"[٢].

ولما وجد الصواع مع أحدهم، قال أخوته: "إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل"، وتفسيراً للذي سرقه يوسف، قال سعيد بن جبير، أو قتادة: لقد "سرق يوسف صنماً لجده أبي أمه، فكسره وألقاه في الطريق، فكان إخوته يعيبونه بذلك، وقال ابن جريج: أمرته أمه وكانت مسلمة: أن يسرق صنماً لخاله من ذهب، فأخذه وكسره، وابن إدريس عن أبيه، قال: كان بنو يعقوب

---

١ - ص ٨٦ بدائع الزهور
٢ - ص ٢١٤ ج١ تاريخ الأمم و الملوك. ص ١١٨ عرائس المجالس

على طعام، إذ نظر يوسف إلى عَرْق فخبأه فعيَّروه بذلك"[١]، وقيل: "أنه أخذ يوماً بيضة من بيت عمته وأعطاها لسائل كان واقفاً على بابها"[٢].

وبمجيء يعقوب وأهله إلى مصر، ولقائهم يوسف، سجدوا لأبويه، وقال السدي: "رفع يوسف أبويه. أي: أباه وخالته، لأن أمه ماتت من قبل، ولما كانت أخت أمه لها عليه تربية سميت أمه، وأمر العسكر أن يسجدوا لهما، وكان ذلك عادة أهل مصر في التحية، قال يوسف لأبيه: يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً""[٣]. أما الحسن، فقال: "نشر الله راحيل أم يوسف من قبرها، حتى سجدت له تحقيقاً للرؤية"[٤]، وتنبأ يوسف بمجيء موسى وصراعه مع فرعون مصر، فقد "كان ليوسف ديك، وكان عمره خمسمائة سنة، فقال له يوسف: إنه يستقيم أمركم ما دام يصرخ فيكم هذا الديك، فإذا ولد هذا الجبار، أي: فرعون موسى. يسكن فلا يصرخ"[٥].

أما فرعون يوسف، فاسمه: "الريان بن الوليد بن ثروان... بن نوح"[٦]، والسدي يقول: "أسمه الريان بن الوليد بن أرسلادس"[٧]، وقيل: إن الريان

[١] - ص ٢١٣ ج١ تاريخ الأمم و الملوك. ص ٨٨ بدائع الزهور. ص ١١٧ عرائس المجالس
[٢] - ص ٨٨ بدائع الزهور
[٣] - ص ٩٠ نفسه
[٤] - ص ١٢٣ عرائس المجالس
[٥] - ص ١٢٥ نفسه
[٦] - ص ١٠٣ عرائس المجالس. ص ٣٨٢ ج١ مروج الذهب
[٧] - ص ٩١ بدائع الزهور

تسميه القبط "نهراوس"[1]، وزعموا أنه آمن بيوسف، ولما مات في حياة يوسف، ملك بعده قابوس بن مصعب، أو "دريموس"[2]، وهشام الصفدي "يعتقد أن سكن إسرائيل في مصر، وتدرج يوسف إلى السلطة من الحوادث التي تمت في فترة الهكسوس"[3].

ولما مات يوسف، أصبحت جثته وكأنما هي لواحد من آلهة الخصب عند الوثنيين، فقد وضعوه في تابوت رخام، ودفن في الجانب الغربي من النيل، فخصب، ونقص الجانب الشرقي، فنقلوا التابوت إلى الجانب الشرقي، ودفنوه فيه، فنقص الجانب الغربي، فاتفق رأيهم أن يجعلوه في الجانب الغربي سنة، وفي الشرقي سنة، ثم حدث لهم من الرأي أن شدوا حول التابوت حلقاً من نحاس وثاقاً وفاقاً، ثم ربطوه بحبال مشدودة شداً وثيقاً محكماً ولووه لوياً وثيقاً، ثم دلوه في وسط النيل، وتركوه هناك، فأخصب الجانبان معاً"[4].

ولما أراد موسى الخروج من مصر، بحث عن جثة يوسف، ليصطحبها معه، فلم تعرف مكانها سوى عجوز مقعدة، "فقالت: لا أخبرك

---

[1] - ص ٢٥١ أخبار الزمان
[2] - ص ٢٦٤ نفسه
[3] - ص ١٠٦ تاريخ سورية القديمة
[4] - ص ٢٦٥ أخبار الزمان

حتى تعطيني أربع خصال: تطلق رجلي وتعيد إلي بصري وشبابي، وتجعلني معه في الجنة. فكبر ذلك على موسى، فأوحى الله تعالى إليه: أن أعطها ما سألت، فلما حملوا التابوت طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار، فاهتدوا به وحملوه"[١].

ملاحظة: من المعلوم أن مدارس التفسير في الفكر الإسلامي قد أصبحت على مدرستين، مدرسة تعتمد المأثور وتفسير القرآن بالقرآن، والأخرى تعتمد العقل أو النظر العقلي، أما هؤلاء الرواة، فهم نسيج قائم وحده ليس له من انتماء إلى إحدى المدرستين، ولو بحثنا عن أسس هذه المدرسة لوجدناها ثلاثة، وهي كما يلي:

١ – التفسير عن طريق التوراة: ومثاله اعتمادهم ذنوب الأنبياء للتفسير، فمن ذنوب يعقوب ويوسف كانت محنة يوسف كانتقام إلهي منهما، وعلاجهم لمسألة "الهم "عند يوسف هي الأخرى تنتمي إلى هذا الباب. واعتمادهم للأسماء في التفسير هو الآخر ينتمي بمصدره إلى التوراة أو الاختلاق، أسم عزيز مصر وزوجته، أسماء أولاد يعقوب، وأسم فرعون ومن ملك بعده، وابن خالة يوسف، واسم خالته، واسم من وجده في الجب، ومن باعه ومن اشتراه، واسم داية زليخا، وصاحبي السجن. والحقيقة أن

---

[١] - ص ١٢٥ عرائس المجالس

هذا التفسير الإحيائي لا بد له من هذا التحديد، وحتى اللامذكور في التوراة قد اضطروا لاختلاقه، والتحديد الزمني هو الآخر من ضرورات هذا التفسير، مثاله: تحديد عمر يوسف ليوم الجب، تحديد عدد النسوة، ومن مات منهن، تحديد الطعام وما قدم لهن.

وبالنتيجة إن من مسلمات التفسير الإحيائي هو التسليم بنقص النص، ومن أجل ترميم هذا النقص في النص القرآني بزعمهم، كان استعانتهم بالتوراة، بالخيال، بالكذب، بالطعن في أخلاق الأنبياء.

٢ – التفسير بالمنهج الوثني: إله الخصب، هو المسؤول عن نمو المزروعات وإثمارها، وغالباً ما يكون الخصب عن موته أو أشلائه، أو أشلاء القرابين التي تقام في طقوس أعيادهم، وليس صدفة زعمهم زيادة المحصول بوجود جثة يوسف هنا أو هناك.

٣ – التفسير بالقدرة الإلهية: الله قادر على كل شيء، ومهما نسبت لقدرته من أفعال لترميم النص أو تفسيره فهو مقبول وصحيح عندهم، ولكن لا تسل عن حدوث الفعل بالفعل، فطالما أنت مسلِّم لقدرة الله فسلِّم وآمن بما يزعمه الرواة، فشاهد براءة يوسف طفل تكلم في المهد، وقد غير الله ماء الجب، ورفع الصخرة، وأرسل له السفرجل والقميص من الجنة ، ومَلَك فك وثاقه، وليعقوب شجرة لأولاده، وغصن يوسف زبرجد، والذئب المتهم

يتكلم حاكياً قصته وبراءته، ويد كُتب عليها القرآن أو على الجدار، ونداء يزجره وجبريل يهدد وسقف ينفجر، وياقوتة للتأويل، وعجوز موسى تعود شابة، وزليخا أصبحت بعد العجز والعمى شابة، وأمه بعثت للحياة تارة أخرى، ويوسف ينور الجدران ويشبع الجوعان بنوره، وروبيل بصراخه يعم مصر كلها، وديك معمر ينبئ بما سيقع من أحداث.

فالمنهج الإحيائي في التفسير يسعى على الدوام لجعل الماضي على حيوية الحاضر، ولهذا كان دخولهم في التفاصيل أو اختلاقها أو استعارتها، وصولاً إلى تحصيل كل العلم أو العلم الشامل، فالمحال لا يمكن إيجاده إلا بهذه العناصر التي ذكرناها آنفاً، وإذا كان العلم الشامل من المحال، فنحن عندها مع أعظم حملة للتشويش على العقل وعلى النص بالدرجة الأولى.

ـ موسى والتفسير الإحيائي:

ومن أجل التفسير الإحيائي لقصة موسى عليه السلام، كان استخدامهم للتحديد بالأعداد، وعن عدد الأطفال الذين ذبحهم فرعون، "قال وهب: بلغني أنه ذبح في طلب موسى سبعين ألف ولد"[1]، وقال غيره: "إثني عشر ألف طفل"[2]. وعن مدينة فرعون قيل: "وكان فرعون إذ ذاك في مدينة حصينة عليها سبعون سوراً، لكل سور سبعون ألف مقاتل"[3]، وموسى وهارون لما طلبا لقاء فرعون، قال السدي: "فمكثا فيما بلغنا سنتين يغدوان إلى بابه"[4]، وعن تابوت آدم الذي أصبح لموسى: "كان التابوت نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين"[5]، وعن عدد سحرة فرعون قالوا: "وكانت السحرة مائة ألف وأربعين ألفاً"[6]، ويزيد بن حبيب، قال: "فكان جميع السحرة مائتي ألف وأربعين ألفاً ومائتين وإثنين وخمسين إنساناً بالرؤساء والعرفاء"[7]، وقال مقاتل: "كانوا اثنين وسبعين ساحراً، وقال الكلبي: كانوا سبعين

---

[1] ـ ص ١٤٩ عرائس المجالس
[2] ـ ص ١٠٠ بدائع الزهور
[3] ـ ص ١٦٠ عرائس المجالس
[4] ـ ص ١٦١ نفسه
[5] ـ ص ٢٣٦ نفسه
[6] ـ ص ٢٧٢ أخبار الزمان
[7] ـ ص ٤٨ ج١ الخطط المقريزية

ساحراً، وكعب: كانوا أثني عشر ألفاً، والسدي: كانوا بضعة وثلاثين ألفاً، وعكرمة: سبعين ألفاً، ومحمد بن المنكدر: ثمانين ألفاً"[١].

وعن عدد الكلمات التي كلم الله بها موسى عند الشجرة، زعموا أنها "مائة ألف كلمة وأربعة عشر ألف كلمة"[٢]، وعن أبعاد ألواح موسى وعددها، قالوا: "بعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى جنة عدن، فاتخذ من شجرة هناك تسعة ألواح طول كل لوح منها عشرة أذرع بذراع موسى، وكذلك عرضه، وكانت الشجرة من زمرد أخضر، ثم أمر جبريل أن يأتيه بتسعة أغصان من سدرة المنتهى، وكتب التوراة لموسى بيده، وموسى يسمع صرير القلم"[٣].

وعن عدد من خرجوا مع موسى من مصر، قالوا: "سار موسى عليه السلام بجميع بني إسرائيل من أول الليل، وكان عددهم ستمائة ألف وأربعين ألفاً ونيفاً"[٤]، "وكان عددهم ستمائة ألف بالغ دون من ليس ببالغ"[٥]، "ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل"[٦]، ستمائة ألف وعشرون ألفاً، سوى الذرية، ثم إن فرعون تبعهم في قومه، وعلى مقدمته "هامان "في ألف ألف وسبعمائة

---

[١] - ص ١٦٤ عرائس المجالس
[٢] - ص ١٦٠ نفسه
[٣] - ص ١٨٠ نفسه
[٤] - ص ٢٧٧ أخبار الزمان
[٥] - ص ٦١ ج١ مروج الذهب
[٦] - ص ٢٤٦ ج١ تاريخ الأمم و الملوك

ألف، كل رجل على حصان، وقال ابن جريج: أرسل فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ملك مسوَّر، مع كل ملك ألف رجل"[١]، وقيل: بل زاد على موسى عليه السلام ستة آلاف"[٢] رجل.

ولتفسير صفة القوة التي لموسى ، قالوا: "لأنه أزال الحجر العظيم الذي لا يرفعه إلا أربعون رجلاً"[٣]، وعن الجدار الذي بناه الخضر، قالوا: "سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعاً وكان طوله على وجه الأرض خمسمائة ذراع، وعرضه خمسون ذراع"[٤]، والسفينة التي خرقها الخضر "كان لعشرة إخوة"[٥]، وعن عدد العصبة التي ذكرت بمفاتيح قارون، قالوا: "ما بين العشرة إلى الخمسة عشرة، وعن قتادة ما بين العشرة إلى الأربعين، عكرمة: أربعون، ومنهم من يقول: سبعون، وقيل: هم ستون، وكانت أربعمائة ألف مفتاح في أربعين خزانة"[٦]، "وأن مفاتيح كنوزه كانت تحمل على أربعين بغلاً"[٧]، وعن صرح فرعون، دعا هامان البنائين "حتى اجتمع خمسون ألف بناء"[٨].

---

[١] - ص ١٧٤ عرائس المجالس
[٢] - ص ٢٧٧ أخبار الزمان
[٣] - ص ١٥٥ عرائس المجالس
[٤] - ص ٢٠١ نفسه
[٥] - ص ٢٠١ نفسه
[٦] - ص ١٨٩ نفسه
[٧] - ص ١٠٨ بدائع الزهور
[٨] - ص ١٦٧ عرائس المجالس

وعن استخدامهم الأسماء لتمام التفسير الإحيائي، قالوا: إن فرعون موسى "هو الوليد بن مصعب بن معاوية، وهو الرابع من فراعنة مصر"[1]! وابن العبري يقول: هو "أمونفائيس"[2]، وقيل: هو "طلما بن قومس"[3]، والطبري يقول: هو "قابوس بن مصعب"[4]. ولما أعيتهم الحيلة لجأوا إلى الاشتقاق اللغوي لتفسير معنى فرعون، فالوليد بن مصعب، تعلم القمار "فعاتبته أمه، فقال: يا أمي كفي عني، فإني عون نفسي، فلزمه هذا اللقب، وما زال يقامر ويخسر حتى لم يبق عليه ثوب، فاستحى من الناس، فهرب على وجهه، فقيل: فرَّ عون، فلزمه هذا الاسم"[5]، وحديثاً قيل: فرعون تعني البيت العظيم"[6]، أو بيت العدل. أما زوجة فرعون موسى، فأسمها "آسية"، آمنت، فقتلها فرعون وبشرها جبريل، بأنها ستكون زوجة محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة"[7].

أما موسى: فزوجة فرعون "آسية"، "سمته موشى لأنه وجد بين الماء والشجر، وهو لغة القبط: مو، أي: الماء، وشي، أي: الشجر، فعرِّب، فقيل:

---

[1] - ص ٣٩٧ , ٦١ ج١ مروج الذهب
[2] - ص ١٧ تاريخ مختصر الدول
[3] - ص ٢٦٩ أخبار الزمان
[4] - ص ٢٣١ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[5] - ص ٩٩ بدائع الزهور
[6] - ص ٢٠ معالم حضارات العالم القديم
[7] - ص ١٠٨ بدائع الزهور

موسى"[1]. و "أماحية"[2]، هي أم موسى وهارون، وقرية موسى أسمها "أسكر "في الضفة الشرقية من النيل، ففيها كان مولد النبي موسى الكليم"[3], "وقال مقاتل: وكان اسم رئيس السحرة شمعون، وقال ابن جريج: يوحنا"[4]، وقيل: "رؤوس السحرة خمسة: سابورا وغادر وجفظ وخطط ومصفا "[5]، وقيل: "كان رؤوس السحرة الذين جمع فرعون لموسى: ساتور، وعادور، وحطحط، ومصفى. أربعة، وهم الذين آمنوا"[6]، وقيل: أن كبير السحرة كان أعمى"[7]. والذي صنع تخت موسى الذي ألقي في اليم، قال مقاتل: هو حزقيل، هو مؤمن آل فرعون"[8]، وقيل: اشترته أمه من نجار، ولما انطلق إلى الذباحين يعلمهم بالطفل، أمسك الله لسانه فلم ينطق"، وأسم الجاريتين اللتان التقى بهما موسى "أسم إحدى الجاريتين ليا، ويقال: حنونا، والأخرى صفورا وهي امرأة موسى عليه السلام"[9]، وقال ابو عبيدة: أن امرأة موسى هي ابنة تيرون، كاهن مدين، وهو الذي استأجره، وهو ابن أخو شعيب النبي، وابن عباس قال: الذي استأجر موسى أسمه يثرى،

---

[1] - ص ١٤٩ عرائس المجالس
[2] - ص ١٧٠ التنبيه و الإشراف
[3] - ص ٥٦ رحلة ابن جبير
[4] - ص ١٦٤ عرائس المجالس
[5] - ص ١٦٥ نفسه
[6] - ص ٢٤٢ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[7] - ص ١٠٦ بدائع الزهور
[8] - ص ١٤٩ عرائس المجالس
[9] - ص ١٥٤ نفسه

صاحب مدين"[1]، وقيل: هو شعيب النبي، وللبحر الذي ضربه موسى بعصاه، كنية وأسم: "فضرب موسى البحر بعصاه، فلم يطعه، فأوحى الله إليه: أن كنِّه، فضربه ثانياً وقال: أنفلق يا أبا خالد بإذن الله، فانفلق"[2].

ورجلي المشاجرة هما: "السامري "وهو من شيعته، أما الذي من عدوه، فهو "رجل من القبط كان خبازاً لفرعون وأسمه فاتون"[3]، و "حزقيل"[4] هو الذي حذر موسى من تآمر القوم على قتله، وابن عباس يقول: "كان السامري من أهل باجرما، وكان أسمه موسى بن ضفر"[5]. والقتيل في قصة البقرة "اسمه عاميل"[6]، وصاحبة البقرة اسمها "يوما"[7]، وأسم مؤمن آل فرعون، "أسمه حبرك"[8]، وقرية الخضر هي "أنطاكية"، "وقال محمد بن سيرين: هي "أيلة"، وقيل: هي قرية من قرى الروم يقال لها: ناصرة"[9]. ومقاتل يقول: إن أسم الغلام الذي قتله الخضر بحجر أسود هو: "حسين بن كازري، وأسم أمه سهرى"[10]، وأسم الخضر: "يليا وكنيته أبو العباس،

[1] - ص ٢٣٨ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[2] - ص ١٧٥ عرائس المجالس
[3] - ص ١٥٣ نفسه
[4] - ص ١٥٣ نفسه
[5] - ص ٢٥١ ج١ تاريخ الأمم و الملوك. ص ١٦ – ١٧ ج٢ حياة الحيوان الكبرى
[6] - ص ٢٠٤ عرائس المجالس
[7] - ص ٢٠٥ نفسه
[8] - ص ٢٤٢ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[9] - ص ٢٠٠ نفسه
[10] - ص ٢٢٤ الإسرائيليات

وقيل: أسمه خضرون"[1]، وعن نسبه قال ابن عباس: "أنه من ولد شالخ، وقال ابن اسحق: أنه من ولد لعيص بن اسحق، وقال النقاش: أنه ابن فرعون صاحب موسى، وقال آخر: هو اليسع صاحب الياس، وقال آخر هو إرمياء، وقال الخثعمي: إن الخضر عليه السلام ابن ملك يقال له: عاميل وأمه أسمها "الهي""[2]، وقالوا: أن أسم الملك الذي عاصره الخضر هو "جلندي وقال ابن اسحق: كان أسمه منواه بن جلندي الأردني، وقال شعيب الجبائي: كان أسمه هدد بن بدد"[3]. وأسم الغلام الذي قتله الخضر: "حسنور، وقيل: الحسين، وقال وهب بن منبه: كان أسم ابيه ملاس، وأسم أمه رحمة"[4]. وأما السفينة "فكانت لعشرة إخوة زمنى، خمسة منهم يعملون في السفينة، وخمسة لا يطيقون العمل، فأما العمال منهم فأحدهم كان مجذوماً والثاني أعور والثالث أعرج والرابع آدر والخامس محموم، والخمسة الذين لا يطيقون العمل: أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون"[5]. أما الجدار "فكان لغلامين: أصرم وصريم، وكان أبوهما أسمه كاشح"[6]

---

[1] - ص ١١٥ بدائع الزهور
[2] - ص ١١٤ نفسه
[3] - ص ٢٠١ عرائس المجالس
[4] - ص ٢٠٠ نفسه
[5] - ص ٢٠١ نفسه
[6] - ص ٢٠٢ نفسه

- الأساطير والمنهج الإحيائي:

الأساطير التي زعمها الرواة، هي برأيهم لتعزيز مكانة الأنبياء أو النبوة، بغطاء استخدامهم لقدرة الله تعالى، حتى فرعون زعموا أنه على طبيعة إلهية، وإلا كيف قال: "أنا ربكم الأعلى"؟ ولتبرير قوله هذا، "قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر: كان مُلك فرعون أربعمائة سنة، وعاش ستمائة وعشرين سنة، لا يرى مكروهاً، ولو حصل له في تلك المدة جوع يوم أو حمى ليلة أو ربع ساعة لما ادعى الربوبية قط"[1]، ولم يكن يُحدث بولاً ولا غائطاً كبقية البشر، حتى توجهت إليه حية موسى "فلما رآها ذُعر منها ووثب، فأحدث، ولم يكن يحدث قبل ذلك"[2]، "وأُخذ بطنه وكان فيما يزعمون يمكث الخمس والست ما يلتمس الخلاء، كما يلتمسه الناس، وكان ذلك مما زين له أن يقول ما يقول: لإنه ليس من الناس بشبه"[3]. فطول العمر الذي زعموه، وعدم شبهه بالبشر، هما اللذان جعلاه زاعماً للألوهية، ولكن القائل بهذه الحجج هو الزاعم لربوبية فرعون، حيث لا شيء من ذلك موجود بالواقع.

---

[1] - ص ٢٢٧ ج٢ حياة الحيوان الكبرى. ص ١٦٧ عرائس المجالس

[2] - ص ٢٤١ ج١ تاريخ الأمم و الملوك

[3] - ص ٢٤٢ ج١ تاريخ الأمم و الملوك

رأى فرعون مناماً: ناراً خرجت من بيت المقدس فأحرقت القبط، وأوَّل السحرة: بأن طفلاً سيلد ليغلبه على ملكه، فأمر بذبح الأطفال"[1]، وعند ولادة موسى، رأى الذباحون القابلة وقد دخلت على بيت أمه، فأخذته أخته ولفَّته "في خرقة وألقته في التنور وهو مسجور"[2]، ولم يصب بأذى بل العكس، ثم وضعته أمه في تابوت وألقت به في اليم، فوصل إلى خليج أقامه فرعون لعلاج ابنته المصابة بالبرص"[3]، ولما وجدوه هناك "دنت منه آسية فرأت في جوف التابوت نوراً، فإذا هي بصبي صغير في مهده والنور بين عينيه، وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمص منها لبناً"[4]، "وأقبلت بنت فرعون عليه، فلما أخرجوه من التابوت عمدت إلى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرئت"[5]. ورضي فرعون أخيراً بتربية الغلام فيما بينهم، وذات مرة نتف موسى شعيرات من لحية فرعون، فهمَّ بقتله ولكن آسية اعتذرت له بتجربة يجريها عليه للبرهان على أنه لا يعي ما يفعل: فوضعت أمامه طسط فيه ياقوت وطسط فيه جمر نار "فحول جبريل عليه السلام يده إلى الجمر، فقبض جمرة ووضعها في فمه، فجاءت على لسانه فأحرقته، وذلك الذي قال في قوله تعالى: "و**احلل عقدة من لساني يفقهوا**

---

[1] - ص ١٤٨ عرائس المجالس
[2] - ص ١٥٠ نفسه
[3] - ص ١٠١ بدائع الزهور
[4] - ص ١٥٠ عرائس المجالس
[5] - ص ١٥١ نفسه

قولي""[1]، أي: بهذه الأسطورة تم تفسير العقدة التي في لسان موسى! وذات مرة قرصه فرعون وهو يداعبه، وكان عمره سبع سنين، فغضب موسى، فضرب تخت فرعون، فحطم قوائمه وجرح فرعون", ولما كان عمره اثنتا عشرة سنة، أحيا الجمل المشوي بحضرة فرعون، ولما توجس فرعون منه خيفة، شفعت له آسية مرة أخرى"[2].

ولعصا موسى قصص وأساطير، عصا موسى، عصا الأنبياء، كانت وديعة عند النبي شعيب، ابنة شعيب أعطت العصا لموسى، وأراد شعيب أن يستردها منه، ولما اختلفا، احتكما لأول رجل يلتقيان به، فكان مَلَكاً، فحكم لموسى، حتى أن شعيباً لم يستطع حملها، بينما حملها موسى، فعلم شعيب أنها له. وفي رواية أخرى: أن العصا وثبت إلى موسى، فأراد شعيب استردادها أكثر من مرة، دون أن يفلح، فعلم أنها له"[3]، وأخذها موسى، وكانت تضيء له بالليل، ويخرج بها الماء من البئر، وإذا غرسها في الأرض تؤمن له الطعام من ثمار الفواكه وكل ما طلب، تشق له الطرقات في الأماكن الوعرة، برأسها تنينان يقاتلان ما ظهر من أعدائه، من رأسيها

---

[1] - ص ١٥٢ نفسه
[2] - ص ١٠٢ بدائع الزهور
[3] - ص ١٥٥ عرائس المجالس

يشرب العسل واللبن، وإذا طلب الطيب كان له ما طلب، وكانت تكلمه إن أحس بالوحشة"[1].

ويوم التحدي بين موسى والسحرة "كانت السحرة مائة ألف وأربعين ألفاً، فعملوا من الأعمال ما يُري الوجوه ملونة ومشوهة، ومنها الطويل ومنها العريض، ومنها المقلوب جبهته إلى أسفل ولحيته إلى فوق، ومنها ما له قرون، ومنها ما هو عظيم على قدر الترس، وحيات يخرج من أفواهها النار، وحيات برؤوس وشعور.."[2].

ولما جاء دور موسى "رفع جبريل العصا في الجو حتى غابت عن عيونهم، ثم أقبلت في صورة ثعبان عظيم له عينان كالترس تتوقدان ناراً، وهو يزبد، فلا يقع من زبده شيء على أحد إلا أبرصه، وابتلع جميع ما عملته السحرة ومائتي مركب كانت مملوءة عصياً وحبالاً، وجميع من كان من الملاحين، أقبل إلى قصر فرعون ليبلعه"[3]، "وله ذنب عظيم يقوم عليه، فيشرف فوق حيطان المدينة برأسه، لا يضرب بذنبه شيء إلا حطمه وقصمه، نَفَسه نار منخراه ينفخان سموماً، فابتلعت حيات السحرة، وانهزم قوم فرعون، ووطئ بعضهم بعضاً، حتى مات منهم يومئذ خمسة وعشرون

---

[1] - ص ١٥٦ نفسه
[2] - ص ٢٧٢ أخبار الزمان
[3] - ص ٢٧٣ نفسه

ألفاً، وانهزم فرعون"[1], وفتحت فمها "واضعة لحْيها الأسفل في الأرض والأعلى في سور القصر"[2] لتبتلعه، فاستغاث فرعون بموسى، فمسك موسى الحية بيده فعادت عصا كما كانت.

ولما قصد موسى الذهاب إلى الجبل لمناجاة الله كما أمره "اختار سبعين رجلاً لينطلقوا معه إلى الجبل، وأمره أن يكونوا شيوخاً، فلم يصب إلاستين شيخاً، فأوحى الله تعالى إليه أن يختار من الشباب عشرة، فاختارهم، فأصبحوا شيوخاً"[3]، "ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى، صار الجبل عقيقاً"[4]، وقد قال عروة بن ديلم اللخمي: "كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى صماء ملساء، فلما تجلى الله للجبل صارت طور دكاً، وتفطرت الجبال، وصار فيها كهوف وسقوف"[5]، وقال الحسن: "مكث موسى بعدما تغشاه نور رب العالمين، وانصرف إلى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد إلا مات، حتى أنه اتخذ لنفسه برنساً وعليه برقع لا يبدي وجهه لأحد مخافة أن يموت"[6].

---

[1] - ص ١٦٥ عرائس المجالس
[2] - ص ٢٤١ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[3] - ص ١٨٧ عرائس المجالس
[4] - ص ١٦٠ نفسه
[5] - ص ١٨٠ نفسه
[6] - ص ١٨٣ نفسه

أما الخضر فقال شعيب: "إنما سمي بالخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء، وقال الخطابي: إنما سمي الخضر لإشراق وجهه، وقال مجاهد: كان إذا صلى اخضرَّ مكان سجوده، وقال آخر: كان أسمه خضرون"[١]، "وقال الخثعمي: إن الخضر عليه السلام ابن ملك يقال له عانيل ولدته أمه في مغارة، فأرضعته شاة، وأخذه الراعي ورباه ، ولما عرف الملك أنه ابنه، تنازل له عن العرش، إلا أنه فرَّ سائحاً في الأرض إلى أن وجد عين الحياة فشرب منها، ولهذا فهو حي إلى أن يخرج الدجال ويقتله، ثم يحييه الله تعالى بحضرة الدجال بعد أن قطعه قطعاً"[٢]، وقد رفعوا حديثاً عن كعب إلى النبي صلى الله عليه وسلم: أربعة أنبياء أحياء، اثنان في الأرض إلياس والخضر واثنان في السماء إدريس وعيسى "وزعموا أن إلياس والخضر يجتمعان معاً كل سنة في رمضان ببيت المقدس، وأنهما يحجان كل سنة ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من العام المقبل"[٣], وقال وهب: "أنه لما دعا ربه عز وجل أن يقبضه إليه لما كذبوه وآذوه جاءته دابة لونها لون النار فركبها وجعل الله له ريشاً وألبسه النور

---

[١] - ص ١١٥ بدائع الزهور
[٢] - ص ١١٤ نفسه
[٣] - ص ٣٣٧ ج١ البداية و النهاية

وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكياً بشرياً سماوياً أرضياً، وأوصى بعده إلى اليسع بن أخطوب"[1].

وعن إحياء حوت موسى، قال الكلبي: "توضأ فتاه يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المملح من ذلك الماء فعاش ووثب في الماء، فجعل يضرب بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شيئاً من الماء، إلا يبس. وقال قتادة: جعل لا يسلك منه موضعاً إلا صار ماءاً جامداً طريقاً يبساً، وقيل بجريان الحوت توقف الماء عن الجريان وأصبح مسلكه كالطريق المسقوف، أو أخدود شبه نهر"[2]، وموسى يتبعه "حتى انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر، فلقي الخضر بها"[3]. ولتفسير قوله تعالى: **"ان اضرب بعصاك الحجر"**، "قال ابن عباس: كان حجراً خفيفاً مربعاً مثل رأس الرجل، أُمر أن يحمله، وقال أبو ورق: كان الحجر من الكذان، وكان فيه اثنتا عشر عيناً أو حفرة، ينبع من كل حفرة عين ماء عذب، فيأخذونه، فإذا فرغوا وأراد موسى حمله، ضربه بعصاه فيذهب الماء، وكان كل يوم يسقي ستمائة ألف من جميع الأجناس"[4].

---

[1] - ص ٣٣٧ – ٣٣٨ ج١ نفسه
[2] - ص ١٩٤ عرائس المجالس
[3] - ص ٢٢٣ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[4] - ص ٢١٧ عرائس المجالس

وتفسيراً لدعاء موسى "ربنا اطمس على أموالهم"، زعموا أن الله تعالى "جعل دراهمهم ودنانيرهم حجارة"[١]،"فمسخ الله أموالهم حجارة، النخل والرقيق والأطعمة"[٢].

ولتفسير قوله تعالى: "**اضربوه ببعضها**"، لمعرفة القاتل، قال ابن عباس: "ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف، وقال الضحاك: بلسانها، وقال سعيد بن جبير: بعجب ذنبها، وقال مجاهد: بذنبها، وقال عكرمة والكلبي: بفخذها الأيمن، وقيل: بأذنيها"[٣].

ولكم تمنيت لو كان لهؤلاء الرواة عبرة من بني إسرائيل، حيث صعَّب عليهم ربهم العثور على البقرة المطلوبة جرَّاء بحثهم عن التفاصيل المسكوت عنها!

أما السامري صاحب العجل، فقد "كان من قوم يعبدون البقر"[٤]، "وأن عبادة الثور آبيس في منف تعود إلى السلالة الأولى لملوك مصر، وقد تم العثور على مدافن ثيران هذه الفصيلة العائدة إلى ما بين القرنين الرابع عشر والأول قبل الميلاد، ففي معبد سيرابيس، عثر على أربعة وعشرين

---

[١] - ص ٢٤٥ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[٢] - ص ٢٤٨ نفسه
[٣] - ص ٢٠٧ نفسه
[٤] - ص ١٦ ج٢ حياة الحيوان الكبرى

مدفنا تتوزع في الزمن منذ عهد رعمسيس الثاني حتى العهد اليوناني، كان الثور الأبلق يُنصب وثاقاً بطقوس احتفالية في معبده، ويجيب على أسئلة المتعبدين، ويتقبل التقدمات ويشترك في التطوافات، وعند موته يحفظ ويوضع في ناووس، ويخضع لطقوس جنائزية تستمر سبعين يوماً ثم يودع سرباً صغيراً بإزاء أسلافه"[1]. وربما "السامريون "هو أسم لفرقة عقائدية كانت تعبد الثور، وواحدها سامري، وقد يكون صاحب العجل بالأساس واحداً منهم، آمن بموسى، ولما غاب موسى في الجبل وبظنه أنه مات، عاد إلى ما كان عليه من عقيدة وعبادة. وقال ابن عباس والحسن وقتادة: أنه جمع حلي الذهب من بني إسرائيل، وصنعه عجلاً، ثم ألقى في فمه قبضة من تراب أثر فرس جبريل، "فتحول عجلاً جسداً لحماً ودماً له خوار، وقيل: كان جسداً لا روح فيه، وكان يُسمع منه صوت، وقال وهب: كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك، وقال السدي: كان يخور ويمشي"[2]، "ويروى أن إبليس خار في وسطه، ويقال أن السامري جعل مؤخر العجل إلى حائط، وجعل إنساناً فوضع فمه في دبره فخار وتكلم بما تكلم به"[3]، وقال ابن عباس والكلبي ومقاتل: لقد خلق الله "الحياة على هيئة فرس أنثى بلقاء، وهي التي كان جبريل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يركبونها، خطوها مد البصر،

---

[1] - ص ٨٧ – ٨٨ تاريخ الحضارات العام

[2] - ص ١٦ – ١٧ ج٢ حياة الحيوان الكبرى

[3] - ص ١٨٥ عرائس المجالس

فوق الحمار ودون البغل، لا تمر على شيء ولا تطأ شيئاً ولا يجد ريحها شيء إلا حيى، وهي التي أخذ السامري من ترابها فألقاه على العجل"[1]، وقال الكلبي: "أن الذي ربى السامري جبريل عليه السلام، فجعل يمص من أحد إبهاميه سمناً ومن الآخر عسلاً"[2].

ولما عاد موسى من الجبل، عاقب أصحاب العجل بالقتل "وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً، ثم أن موسى هم بقتل السامري، فأوحى الله تعالى إليه: لا تقتله فأنه سخي، فلعنه موسى"[3].

والمستفاد من قصة السامري برأيي، بعيد كل البعد عن طنطنة الرواة وتخاريفهم، أي: حتى لو تكلم العجل وخار، بعلة عن الملائكة أو غيرها، فلا عبادة ولا ألوهية له.

ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق عن طريق سلكه موسى وقومه، ووقف فرعون خائفاً فجاء جبريل على فرس أنثى وديك، فقربها منه فشمها الفحل، ولما شمها قدمها جبريل، فتقدم معه الحصان الذي عليه فرعون، فلما رأى جند فرعون أن فرعون قد دخل البحر، دخلوا معه، وجبريل

---

[1] - ص ٢٣٩ ج٢ حياة الحيوان الكبرى
[2] - ص ١٨٤ عرائس المجالس
[3] - ص ١٨٧ نفسه

أمامه، وميكائيل على فرسه خلف القوم، يشحذهم، يقول: ألحقوا بصاحبكم"[1]، ولما أدرك فرعون الغرق "قال: آمنت.. "فخشي جبريل أن تناله رحمة من الله بإيمانه "فجعل يدس في فيه من حمأ البحر مخافة أن يعيد تلك الشهادة"[2].

ومات فرعون غرقاً، وقيل: هو منفتاح، وقال تعالى: "**فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن بعدك آية**"، "وقد وجدت الجثة مع غيرها من الجثث في قبر "أمنحتب الثاني "بالأقصر، وظهر من آثار قبر منفتاح أنه لم يكن مهيأ كما يجب لدفن ملك مثله، لأن موته لم يكن منتظراً، حيث لا قبر خاص له"[3]، والله أعلم.

ملاحظة: إن الأعداد كما هو معلوم، إن ذكرت، لا تسمح بالاختلاف إن كانت صادقة، والاختلاف الذي ذكروه في أعدادهم، يشير ويؤكد إلى عدم صلتها بالواقع، وهي بالتالي مختلقة عن طريق الاجتهاد أو الاقتراح، والأسماء هي الأخرى على نفس المنوال، ولو بحثنا عن قيمة الأسماء

[1] - ص ٢٤٩ ج١ تاريخ الأمم و الملوك. ص ١٧٦ عرائس المجالس. ص ٢٧٨ أخبار الزمان
[2] - ص ١٧٦ عرائس المجالس. ص ٢٧٨ أخبار الزمان
[3] - ص ٢٠٣ قصص الأنبياء

والأعداد في استخدامها لتفسير قصص الأنبياء لرأيناها تدور حول التهويل الأسطوري من جهة وحول زعم العلم بكل التفاصيل من جهة أخرى.

إن أغلب الأساطير قد صيغ على طبيعة وثنية، عما كان موروثاً من ثقافة الأقدمين أو كأنهم على صراع مع الأساطير حتى بذُّوهم بها، فرعون كما يعتقد المصريون كائن إلهي، وقد عبدوه لذلك، وقد برر فرعون ألوهيته بملكه لمصر وأنهارها، أما الرواة فقد كانوا الأشد برهنة على ذلك، لما زعموا اختلاف طبيعته عن طبيعة البشر، وهذا نفسه هو الزعم القائل بأنه ابن الإله رع، حسب أساطير المصريين، أو هو الإله نفسه. ولكن كيف لهم عدم الزعم بألوهية الخضر، وقد أصبح أعظم من فرعون في تفرده عن البشر؟ فقد أرضعته شاة، وهرب من الملك، وشرب من ماء الحياة، وهو حي لا يموت، وإن قتل يعود حياً، وصعد إلى السماء بدابة، وصار كائناً ملكياً بشرياً، وهل لفرعون مثل هذه الصفات؟ ولو أنصفوا لقالوا: سيان ولا فرق بين مَلَك بشري وبين الإله، أو بين الخضر وفرعون، ولو نظرنا في عناصر قصة الخضر حسب هذه الأساطير، لوجدناها هي نفسها العناصر التي استخدمت لرواية أساطير الأبطال والآلهة عند الوثنيين.

أما موسى فقد حولوا قصته القرآنية بما أضافوه عليها إلى قصة أسطورية تقبل كل كذب وتهويل إن أضيف إليها: القته أخته في التنور،

يرضع العسل واللبن من أصابعه، أحيا الجمل المشوي، والشباب أصبحوا شيوخاً، والجبل أصبح من العقيق، وقبل موسى لم يكن في الجبال مغاور وكهوف، ونوره قتل أصحابه، وحجر الماء وأعمال العصا والحية أعجب، وبالفعل لقد انقلبت المعجزات إلى عجائب ولا أكثر من ذلك عند صناعها، ولكن كيف لهم اختراع معجزات لم يذكرها القرآن، فهل تراهم كانوا على علم بالذي قاله القرآن، أم هي الجرأة على الله ورسوله؟ والحقيقة: أن الفكر الأسطوري، لا يكترث بالحدود المنطقية أو العقائدية، ولا وجود له إلا بالسمو فوق كل الحدود، فوق الزمان، فوق المكان، فوق المنطق، فوق العقيدة، ولهذا قلنا بالمساواة بين الأحلام والأساطير، سواء في طبيعتها أو أغراضها.

ـ داوود وصناع الأساطير:

لتفسير قوله تعالى: "**إن أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة**"، استعار السدي من التوراة قصة ما جرى بين داوود وزوجة "أوريا"، بعد ان اختلق وزاد عليها طيراً من ذهب دله عليها، ولما كان أوريا أحد جنود داود، أرسل لتقديمه إلى الخط الأول، وبمقتله تزوج زوجته"[1]، هذه القصة بالأساس اختلقها الكهنة اللاويون لما اصطدموا مع داود الذي أراد الحد من سلطتهم ليجعلوا منه الفاسق والفاجر الأول.

وحيث ألان الله الحديد لداوود لصنع دروع الزرد، فقد صنع له السدي سلسلة غريبة عجيبة، قائلاً: "كان لداوود سلسلة إذا حدث حادث في الدنيا تصلصلت، فيعلم داوود عندها بما حدث، وكان لا يمسها ذو علة إلا برئ لوقته، وإذا مسها مشرك ذهب منه غل الشرك، وكان المنكر لحق صاحبه، إذا مد يده إليها لا يصل إليها، وكانت تُرفع عند الباطل، وتُدلى عند الحق.."[2].

وإبان ثورة اليهود على "جالوت"، بارزه داود بمقلاعه، وبينما هو في الطريق إليه ناداه حجر هارون، ثم ناداه حجر موسى، ثم ناداه حجر

---

[1] ـ ص ٢٨٣ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[2] ـ ص ١١٩ ـــ ١٢٠ بدائع الزهور

وهو يقول: أنا حجرك، وعند اللقاء وضع داود الأحجار الثلاثة في المقلاع، فصارت كلها حجراً واحداً"[1]، ولما قذفه باتجاه جالوت "أصاب منه أنف البيضة، فخالط دماغه، وخرج من قفاه، وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً، وقيل: لما خرج من قفاه تكسر وتفتت بإذن الله حتى عم جميع جنود جالوت، فلم يبق منهم أحد إلا وقد أصيب منه بقطعة، فانهزم جيشه"[2] !

---

[1] - ص ٦٨ ج١ مروج الذهب

[2] - ص ٢٤١ عرائس المجالس

- سليمان بين الواقع والأساطير:

سليمان بن داوود عليهما السلام، كان داوود ملكاً ١٠٠٣ ــ ٩٤٤ ق.م، في عهد الفرعون "أنوبي "أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين، أما سليمان فقد كان معاصراً للفرعون المصري "بوسنس الثاني "٩٧٩ ــ ٩٤٤ ق.م، وقد تزوج من ابنته في أول حكمه، حوالي ٩٧٢ ق.م، وتوفي كما يعتقد سنة ٩٣٢ ق.م"[١]، وقد توالت الأساطير حول سليمان حتى أصبح المذكور في القرآن وكأنما النواة التي تتسع وتنتشر دونما قيد أو حد.

قال تعالى: "**حتى إذا أتوا إلى وادي النمل قالت نملة**.."، قال كعب الأحبار: الوادي، هو واد سدير في الطائف، وقيل أنه بالشام، وقيل: وراء الهند في بلاد التبت، أو في بلاد اليمن، وابن بطوطة قال: بضاهر عصقلان"[٢]، وقيل: هو واد تسكنه الجن، وذلك النمل مراكبهم، والنملة التي قالت أو تكلمت، قال الضحاك: "اسمها "طاخية، وقيل: خرمى"[٣]، "وقيل: أسمها صاحية، وقال وهب: "اسمها جرسا، وكانت من قبيلة يقال لها بنو الشيصبان، كانت عرجاء، وكانت بقدر الذئب"[٤]، "ولها جناحان"[٥].

---

[١] - ص ٣٠٣ تاريخ بلاد الشام القديم
[٢] - ص ٣٣٦ قصص الأنبياء
[٣] - ص ٢٦٤ عرائس المجالس
[٤] - ص ١٩ ج٢ البداية و النهاية
[٥] - ص ١٢٨ بدائع الزهور

قال تعالى عن سليمان: "و**ألقينا على كرسيه جسداً**"، وفي أسطورة تفسيرية نسبت لابن عباس: أن سليمان انتصر على الملك صيدون، فسبى ابنته وتزوجها، ولما سألها عن حزنها الدائم طلبت منه أن يمثل لها أباها، حتى تعيش على ذكراه، وحيث سكن الشيطان في التمثال، سجدت له، وبعد أربعين يوماً علم آصف بن برخيا بسرها، فأعلم سليمان بالأمر، فكسر سليمان الصنم وعاقبها على كفرها، ولكن الله عاقب سليمان أيضاً بتجريده من خاتمه السحري لمدة أربعين يوماً، على قدر المدة التي عبدت زوجته بها الصنم"[١]. فقد كان سليمان يضع خاتمه إن ذهب إلى الخلاء عند "أمينة "جاريته، او "جرادة"، فجاءها الشيطان وأسمه "حبقق "أو"صخرا"، على هيئة سليمان، فأعطته إياه، ولما جاء سليمان يطلبه أنكرت عليه، فطردوه، وجلس الشيطان على كرسي ملكه، حتى نكح زوجاته، وهن بالدماء أو الحيض، واستولى على كل شيء.

وذهب سليمان شريداً، حتى وجد عملاً عند أحد صيادي السمك، ولما أعطاه أجره سمكة او سمكتين، وجد في بطنها خاتمه، ولما لبسه في أصبعه، عكفت عليه الطير والريح ووقع عليه بهاء الملك تارة أخرى"[٢]. وقيل

---

[١] - ص ٥٥ – ٥٦ أخبار الزمان

[٢] - ص ٢٥٩ , ٢٨٨ – ٢٨٩ عرائس المجالس. تفسير الخازن. ص ٢٩٤ – ٢٩٥ ج١ تاريخ الأمم و الملوك. ص ٥٢ – ٥٦ أخبار الزمان

كتفسير: أن "صخر "الجني، صنع لسليمان "كرسياً من أنياب الفيلة، وفصصه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر، ولما مات سليمان استولى عليه بختنصر، ولما طلب الجلوس عليه ضربه أسد على ساقه فأصبح أعرجاً حتى مات"[١].

وعن بساط سليمان، شكله، صفاته، أبعاده، ترتيب الجلوس عليه، قال مقاتل: "نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطاً, فرسخاً في فرسخ، ذهباً في أبرسيم، وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط، فيقعد عليه وحوله ثلاث آلاف كرسي من الذهب والفضة، فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتضلهم الطير بأجنحتها لئلا تقع عليهم الشمس"[٢]، "وكان يحمل عليه جنوده ودوابه وخيوله وسائر الإنس والجنس والوحش والطير، وكان جيش سليمان ألف ألف إنسان، ويتبعهم ألف ألف من الجان وغيرهم"[٣].

ولما شعر سليمان بعظمة ملكه ذات مرة، طلب من ربه أن يدعو كل المخلوقات لإطعامهم، وبعد أخذ ورد، وافق تعالى ولكن ليوم واحد فقط،

---

[١] - ص ٢٧٢ عرائس المجالس
[٢] - ص ٢٦١ نفسه
[٣] - ص ١٢٣ بدائع الزهور

وانشغل الجن والإنس في إعداد الوليمة، فأتاه حوت فأكل كل الموجود، فاستغفر سليمان ربه، حيث علم ضآلة ملكه، مقارنة بملك الله عز وجل"[1].

[1] - ص ١٥٤ ــ ١٥٥ نفسه

ـ بلقيس ومملكة سبأ:

بلاد السبأيين تقع في جنوب جزيرة العرب، وغنى تلك البلاد لا نظير له، وقد نعتها "أغاثا رشيد "في منتصف القرن الثاني ق.م بـ "العربية السعيدة"، و "فيرجيل "شاعر الإغريق أشار كثيراً إلى بخور سبأ وما يحققه من دعة للسبأيين، وليس صدفة أن تحمل أساطير البابليين، وعند اليهود، جنة عدن، أسم مدينة عدن، والشاعر "كلودين "أشار إلى حكم الملكات من النساء، حيث انتصرت الملكة العربية "ماوية "على القوات الرومانية"[1].

"سبأ كانت عاصمة الملكة التي زارت سليمان"[2]، وبلقيس هي تلك الملكة التي جاء الهدهد بخبرها إليه، و "كان أسم هدهد سليمان يعفور"[3]، إنها "ملكة اليمن كله، وتحت يدها اثنا عشر ألف قيل، مع كل قيل مائة ألف مقاتل، والقيل هو القائد بلغة اليمن، وأسمها كاملاً "بلقيس بنت البشرخ وهو الهذهاذ، وقيل: هي بلعمة بنت شراحبيل، وكان أبوها قد زوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر، فولدت له بلعمة وهي بلقيس، ولما مات

---

[1] ـ ص ٣٠ أبحاث في جزيرة العرب
[2] ـ ص ٣٤ نفسه
[3] ـ ص ٢٧٧ عرائس المجالس

أبوها الملك، لم يخلف غيرها، فطمع أحدهم في الاستيلاء على الحكم، فتزوجت به، وبعد أن أسكرته، حزت رأسه، وأصبحت هي الملكة"[1].

وأرسل إليها سليمان كتاباً يطالبها بطاعته، فأرسلت له الهدايا التي من جملتها خمسمائة لبنة من الذهب، فعلم سليمان خبرها من الجن، فأمر بوضع اللبن ذهباً، في الطرقات، بين كل لبنتين فراغ لبنة، فلما رأى رسلها ذلك، قذفوا ذهبهم، خشية اتهامهم بسرقة لبنات الفراغ"[2]، ومن باب التحدي، أراد سليمان إحضار عرشها بين يديه قبل مجيئها إليه، وتبرع عفريت من الجن أن يقوم بهذه المهمة، وقال وهب "هو كودي، وقال شعيب: إنه كوذان، وكان الذي "عنده علم من الكتاب "هو الأسرع، وقالوا: هو جبريل، أو ملك من الملائكة، وقال مجاهد: هو آصف بن برخيا، وقال زيد بن أسلم: هو رجل صالح، وقال ابن أبي بردى: أسمه أسطوم، وقال قتادة: أسمه مليحا، وقال محمد بن المنكدر: إنما هو سليمان نفسه"[3]، "وقال السدي: هو أبو العباس الخضر"[4].

---

[1] - ص ٢٧٨ – ٢٧٩ نفسه
[2] - ص ١٢٦ – ١٢٧ بدائع الزهور
[3] - ص ٢٨٤ عرائس المجالس
[4] - ص ١٢٨ بدائع الزهور

وأعجب سليمان ببلقيس، فرغب بها زوجة له، وقال له الجن: ولكن رجلها رجل حمار، وهي شعراء الساقين، لأن أمها كانت جنية، ولما أراد تحري الأمر بنفسه، أمر ببناء صرح من القوارير، فكشفت عن ساقها "فإذا هو أحسن الناس ساقاً وقدماً، إلا أنها كانت شعراء الساقين"[1]، "فصنع لها النورة، فزال ذلك الشعر من بدنها جميعه، فهي أول من استعمل النورة"[2]، ولما أعلنت إسلامها "استنكحها سليمان"[3]

و "الصافنات الجياد "التي لسليمان، قيل أنها خيول برية أسرتها الجن له"[4]، وقيل: "أنها كانت ألف فرس"[5]، والصافنات بتفسير البعض، هي: "الخيل القائمات على ثلاث قوائم، وقال الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً خرجت من البحر لها أجنحة"[6].

ولما أراد الرواة تحديد مكان هيكل سليمان، قالوا: في البحر المحيط "ففيه هيكل سليمان عليه السلام، وفيه جسده، وهو قصر عجيب في جزيرة"[7].

---

[1] - ص ٢٨٥ عرائس المجالس
[2] - ص ١٢٨ بدائع الزهور
[3] - ص ٢٨٦ عرائس المجالس
[4] - ص ١٢٨ بدائع الزهور
[5] - ص ٣١٣ ج١ حياة الحيوان الكبرى
[6] - ص ٢٦٨ عرائس المجالس
[7] - ص ٤١ ــ ٤٢ أخبار الزمان

ملاحظة: كثيرة هي الأساطير التي نسبت لآلهتها امتطاء السحاب، كالإله "حدد "في أوغاريت الكنعانيين الذي "هو إله العاصفة، ممتطي السحاب"[1]، والإله "بعل "البابلي هو الآخر قد وصفوه بهذه الصفة، وغير ذلك كثير، إلا أن القرآن كذب تلك المزاعم لما نسب امتطاء السحاب إلى المعجزة التي تخص النبي سليمان فقط، وحيث لا أنبياء آلهة، فتلك المزاعم كاذبة، أو هي سحر لا غير: "و**لكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر**"، أي: بكفرهم زعموا المساواة بين السحر والمعجزة، حيث علموا الناس الإتيان بشبه للمعجزات، عن طريق التخييل، وفرق كبير بين الحقيقة والخيال، أو بين الصدق والكذب.

أما صناع الأساطير ورواتها الذين أصبحوا كآفة تبتلع الحقائق في العالم الإسلامي قد ساووا بين النساء والنعاج، وأنكروا العصمة والحفظ للأنبياء، حتى أصبحوا على أيديهم كأعتى المجرمين والزناة، إحياءً لما كان معتقداً عند كهنة اليهود، وبالسلسلة التي جعلوها مصدر الأخبار وسخروها للامتحان، هي نفسها صخرة حمورابي ونار اليمين التي زعموها للتعرف على المجرمين، وحجر داوود المؤلَّف من ثلاثة أحجار مزعومة هي الأخرى، وبما فعلت بجيش جالوت، نُسبت زوراً إلى قدرة الله، وبهذا فقد

[1] - ص ١١ – ١٢ الديانات السورية القديمة

كذبوا على الله ورسله دونما وازع من علم أو عقيدة أو حقيقة. وجعلوا الشياطين تنكح نساء الأنبياء وهن في الدم، وبجهلهم جعلوا من بختنصر معاصراً لسليمان، وبتهويلاتهم المجنونة جعلوا بساط سليمان يحمل مليونين من الإنس والجن، عدا الوحوش والخيل، كما جعلوا جيش بلقيس على تعداد المليونين، كما روَّجوا للاعتقاد الجاهلي بالزواج بين الجن والإنس، كما اعتقدوا بوجود خيل بحرية لها أجنحة أو ثلاث قوائم، كما زعموا وجود هيكل سليمان وجثته في البحر المحيط، وهل هذا كله إلا من أحلام يقظة؟!

أما الأسماء التي ذكروها: للهدهد والشيطان، والنملة، والحوت، وأم بلقيس الجنية، ووادي النمل، فهي بجذورها تعود إلى الاعتقاد الوثني بحيوية ظواهر الطبيعة، وإعادة الماضي إلى حيوية الحاضر، وكل الفرق بين هؤلاء الرواة والإحياء الأسطوري عند الوثنيين، أن الأخير كان يقتصر على المناسبات والأعياد السنوية، بينما الرواة قدموا ما قدموه كحيلة تعمي عقول القراء وتستهوي الجهلة صباح مساء.

ـ أيوب وأكاذيب الرواة:

الخبر الكاذب هو ما لا يتطابق مع الواقع، والخبر الصحيح لا بد يحمل معه مبررات زعمه، وطالما موضوع الخبر مغيب ولا إدراك له، أو لا سند له من وحي أو نبوة، فالخبر عنه كاذب قطعاً، والاجتهاد في التفسير عن طريق الاختلاق هو الآخر نوع من أنواع الكذب، واختلاف الروايات بالمضمون أو بتحديد العدد أو الأسماء والأماكن، كل ذلك من دلالات وجود الكذب عند رواة الخبر، ومن زعم جواز الكذب لصالح الأنبياء أو للتفسير، فهو فاسق قطعاً.

قال وهب وكعب عن أيوب: لقد "كان مكتوباً على جبهته: المبتلى الصابر"[١]، وقيل: "ثلاثة هم الذين آمنوا به وصدقوه: رجل من أهل اليمن يقال له: "اليغن"، ورجلان من أهل بلاده، يقال لأحدهما مالك وللآخر ظافر"[٢]، أما وهب فقال: اتبعه ثلاثة نفر على دينه، يقال لأحدهم "بلدد"، والآخر اليفز، وللثالث صافر"[٣]. وعن تحديد أسم زوجة أيوب، قال كعب الأحبار: "كانت زوجته تسمى رحمة"[٤]، وقال وهب: "أسمها "ليا"[٥].

---

[١] - ص ١٣٥ عرائس المجالس
[٢] - ص ١٣٥ نفسه
[٣] - ص ١٩٥ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[٤] - ص ٩٢ بدائع الزهور
[٥] - ص ١٩٤ ج١ تاريخ الأمم و الملوك

وعن شفائه قال وهب: "لما اغتسل أيوب من تلك العين، تناثر الدود، وصار فراشاً من ذهب وطار في الآفاق، وقال السدي، اليوم الذي اغتسل فيه أيوب وشفي كان يوم النيروز"[1] الذي للمجوس، والسدي زاد على القرآن تفاحة من الجنة جاء بها جبريل لشفاء أيوب"[2]، وبنجاح أيوب في امتحان صبره كافأه الله حيث "كان له أندران، أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله تعالى سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق "الفضة "حتى فاض. ويروى أن الله تعالى أمطر عليه جراداً من ذهب، فجعل يحثو منه في ثوبه"[3]، ومكافأة له أيضاً، قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة وكعب: بأن الله أحيا له أولاده"[4]، "ورد عليه مواشيه وزرعه"[5].

إن اختلاف الأسماء عند الرواة دلالة قاطعة على كذب تلك الروايات، أما المعجزات التي هي: تفاحة الجنة، سحاب يمطر ذهباً وفضة، ودود تحول إلى فراشاة من ذهب، إحياء الموتى، مطر بجراد من ذهب، هذا كله

---

[1] - ص ٩٤ ــ ٩٥ بدائع الزهور
[2] - ص ٩٤ نفسه
[3] - ص ١٤٢ عرائس المجالس
[4] - ص ١٤٤ نفسه
[5] - ص ٩٥ بدائع الزهور

من المعجزات، وطالما لا ذكر لها في القرآن فهي مختلقة لا وجود لها إلا عند من اختلقها.

- يونس وشجرة اليقطين:

أسم يونس في التوراة "يونان بن أمتاي"، وقصته لديهم: أن الله كلفه بالذهاب إلى "نينوى "ليدعوهم إلى الله وينذرهم، فهرب إلى "يافا "ومنها قصد "ترشيش "على ظهر سفينة، وحيث أشرفت على الغرق، كانت القُرعة بين ركابها، فكان هو العاصي لربه، فطلب العودة إلى حيث جاء، فامتنعت السفينة عن المسير، فطلب أن يقذفوه في البحر، فالتقمه الحوت، وبعد ثلاث أيام وثلاث ليالي، قذفه الحوت إلى الساحل، وأمره الله بالذهاب إلى "نينوى"، فدعاهم فرفضوا دعوته، فخوفهم بعذاب منتظر بعد أربعين يوماً، وحيث لم يقع عليهم العذاب حزن يونس واختبأ في "كن "حيث لا علم له بإيمانهم، فأنبت الله عليه يقطينة كبيرة غطت الكن كله، ففرح بها، ثم سلط الله عليها دودة أكلت جذورها حتى ماتت، فحزن عليها كثيراً، فعاتبه الله: أتحزن على يقطينة ولا تشفق على نينوى وأهلها، اللذين نجاهم إيمانهم من العذاب الموعود.

والملاحظ في هذه الرواية، أن معنى "مغاضباً "التي في القرآن تعني مغاضباً أو معانداً ربه، حيث قصد الهرب من التكليف، والفرق بين رواية التوراة ورواية القرآن من جهة أخرى: أن القرآن يقول بأن شجرة اليقطين، كانت بعد أن قذفه الحوت إلى الساحل، وقبل أن أرسله الله إلى نينوى "فنبذناه

بالعراء وهو سقيم، وأنبتنا عليه شجرة من يقطين، وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون"[1]، أما التوراة فتقول: بعد أن أرسله الله إلى نينوى بأربعين يوماً، أنبت الله على الكن الذي اختبأ فيه شجرة اليقطين، وهذا الخلاف لا بد يُعزى إلى فعل التذكر، حيث كُتبت التوراة بعد وقائعها بزمن ليس باليسير.

يونس حسب التوراة نبي من أنبياء اليهود، والله أعلم، إلا أن القرآن بذكره السفينة والحوت والبحر، يعني أنه ليس من أهل نينوى بل وصلها بعد سفر من مكان آخر، أما مجمل المعنى من قصتي القرآن والتوراة، فيقول: إن طلبت يا يونس السفينة للهرب من الذهاب إلى نينوى، فالحوت سيأخذك إليها، وما شاء الله لا بد كائن: **"وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه"**[2]. وبكليهما بيان لرحمة الله، وحيث تم تحديد ميعاد عذابهم، آمنوا: "لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي"[3]، وهو المعنى من قوله تعالى: "يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب"، وبأي وجه تم تفسير المغاضبة، فمدار القصة سيبقى لبيان قدرة الله ورحمته.

ولننظر الآن في التفاصيل التي اختلقها الرواة ونسبوها للصحابة، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: "لم يؤمن به إلا اثنان: روبيل

---

[1] - الصافات: ١٤٥ ـ ١٤٨
[2] - الأنبياء: ٨٧
[3] - يونس: ٩٨

وتنوخا"[١]، "وقال كعب الأحبار: إن جلد الحوت رق ليونس، حتى كان ينظر منه ما في البحار من العجائب"[٢]، وقال السدي والكلبي ومجاهد والسهيلي: إن يوسف مكث في بطن الحوت أربعين يوماً"[٣]، وقال الشعبي: "ما مكث إلا أقل من يوم"[٤]، وقال مقاتل: "ثلاثة أيام، وقال عطاء: سبعة أيام، وقال الضحاك: عشرين يوماً"[٥]، وقيل: سبع ساعات.

أما عن شجرة اليقطين "قال كعب الأحبار: لما خرج يونس من بطن الحوت، خرج عرياناً، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين كالقبة لها أربعة أبواب، وأنها حملت في ذلك اليوم إثنين وثلاثين صنفاً من الفواكه لا يشبه بعضه بعضاً، وأنبع الله في أصلها عيناً أحلى من العسل وأبرد من الثلج، وأرسل الله غزالة تدر من ثديها لبناً يتغذى به، وقال السدي: إن الغزالة التي أرضعته، جعل الله قرونها وأظفارها في لون الذهب"[٦] مكافأة لها. وحيث كان عند الشجرة، أرسل يونس راعياً إلى أهل نينوى بصحبة شاة، بشّرتهم ببقاء يونس على قيد الحياة بكلام فصيح لا غبار عليه"[٧].

---

[١] - ص ٣٦٧ عرائس المجالس
[٢] - ص ١٥١ بدائع الزهور
[٣] - ص ١٥٢ نفسه
[٤] - ص ٣٨٤ ج٢ حياة الحيوان الكبرى
[٥] - ص ٣٦٩ عرائس المجالس
[٦] - ص ١٥٢ بدائع الزهور
[٧] - ص ١٥٣ نفسه

وعن مصير الغمام الذي كان معداً لدمار مدين، يقول "كعب الأحبار: لما صرف الله عنهم العذاب، تقطع ذلك الغمام أربع قطع: قطعة وقعت على جبال صنعاء، فكان منها معادن الرصاص، وقطعة وقعت على بعض الجبال، فصارت لا تنبت شيئاً إلى أن تقوم الساعة، وقطعة وقعت في البحار، فهي تغلي وتفور إلى يوم القيامة، وقطعة وقعت في نينوى، فكانت أشد بياضاً من الكافور، وأطيب رائحة من المسك، فهم يتطيبون بها إلى الآن"[١].

أما عن موقع نينوى، فهي الآن "مقابل الموصل، وبينهما دجلة"[٢]، إنها "من قرى الموصل"[٣]، أرض مستنقعات، تعيش فيها الحيتان وتربى فيها الجواميس، ولها سور "وأثر السور المحيط بهذه المدينة كما يقول ابن جبير – ظاهر"[٤]، ومكانها هو نفسه لم يتغير "منذ أزمنة ما قبل التاريخ"[٥]، و "أميل بوتا "الفرنسي "عثر سنة ١٨٤٢ م، على موقع تل نبي يونس الذي يحتوي العاصمة الآشورية نينوى، والإنكليزي "أوستين لايارد"، بدأ عام

---

١ - ص ١٥٠ نفسه
٢ - ص ٢٣٧ ج١ مروج الذهب
٣ - ص ٣٦٦ عرائس المجالس
٤ - ص ١٦٩ رحلة ابن جبير
٥ - ص ٢٦ المدن الأولى

١٨٤٥ م التنقيب في موقع نمرود"[1]، و "فيكتور بلاس "نشر كتاباً بثلاث مجلدات سماه "نينوى وآشور "ضمنه نتائج أبحاثه"[2]

[1] - ص ٥٧ علم الآثار الشرقية
[2] - ص ٥٩ نفسه

- عيسى وقربان الخطيئة:

لقد فُقد إنجيل عيسى، والأناجيل التي بين أيدينا هي تآليف نُسبت للحواريين أو هي للحواريين، وكلها تحكي قصة حياة المسيح، ابتداء من ولادته انتهاء بقيامته وصعوده إلى السماء، وقد انتخبت هذه الأناجيل الأربعة التي بين أيدينا، من أناجيل عدة سنة ٣٢٥ م، وإن حال الأناجيل مقارنة بالإسلام، كحال الأحاديث النبوية، ورواتها تماماً كرواة التفسير عن طريق الاختلاق، وكما أن الرواة قصدوا تملق السذج كسباً للدين بزعمهم، كذلك كتبة الأناجيل قصدوا تملق ما كان قبل المسيح من ثقافة، بقصد كسب أصحابها للمسيحية، والفارق الوحيد بين الكتبة والرواة، هو في فشل الرواة من الاستحواذ على الدين، حيث بقي القرآن المحفوظ، هو المرجع الذي اصطدمت به رواياتهم المختلقة، بينما نجح كتبة الأناجيل فيما قصدوا إليه، حيث لا مرجع يحكم على كل الكتبة.

لقد ذكر الله في كتابه نزول المائدة على عيسى والحواريين، وهدد من يكفر بعدها بأسوأ العذاب، وقال مجاهد: كانت تنزل في وقت الضحى، وقال الواقدي: كانت تنزل بكنيسة صهيون"[1]، أما الترمذي فقد وصف ما كان على المائدة من مأكولات، فقال: هي "سفرة حمراء مدورة بين غمامتين،

[1] - ص ١٥٨ بدائع الزهور

فيها سمكة مشوية، وعند رأسها شيء من الخل والملح، وعند ذنبها خمسة أرغفة كبار، كل رغيف عليه شيء من الزيتون والتمر، وحول ذلك من سائر البقول، وقال عيسى للسمكة: أيتها السمكة قومي بإذن الله، فأحياها الله تعالى، فجعلت تضطرب وتنظر بعينها إلى بني إسرائيل، فخافوا منها، ثم قال عيسى للسمكة: عودي كما كنت مشوية، فعادت مشوية، وعند ذلك نادى الفقراء والمساكين وأصحاب العاهات، فأكلوا حتى اكتفوا عن آخرهم، وكانوا نحو ألف وثلاثمائة إنسان، فبرء منها أصحاب العاهات جميعهم بإذن الله تعالى"[١]، واستمرت المائدة تنزل كل يومين مرة، وأطعم منها عيسى خلق لا يعلم عدتهم إلا الله.

"قال وهب بن منبه: إن جماعة من بني إسرائيل، شكوا في أمر المائدة، وقالوا: أنها ليست من عند الله، فلما ظنوا ظن السوء، مسخ منهم جماعة خنازير، وجماعة قردة، فكان عدة من مسخ ثلاثين إنساناً"[٢].

وقال تعالى عن عيسى وأمه مريم: "**وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين**"، وقيل لتحديد مكان الربوة: "هي أرض مصر. وقال عبد الله بن سلام: هي دمشق، وقال أبو هريرة: هي الرملة، وقال قتادة وكعب: هي بيت

١ - ص ١٥٨ بدائع الزهور
٢ - ص ١٥٨ نفسه

المقدس، وقال كعب: هي أقرب الأرض إلى السماء، وقال أبو زيد: هي مصر، وقال الضحاك: هي عرصة دمشق، وقال أبو العالية: هي إيلياء"[1].

ملاحظة: إن الله تعالى لم يخبرنا بجزئيات ما ورد في القرآن من قصص، وكأنما الحكمة للابتلاء، فمن كان عالماً مؤمناً بما يريده الله أو الدين عملياً وعقائدياً، قال: لو كان في التفاصيل نفع لنا لذكرها سبحانه في كتابه، ومن ظن الاجتهاد على الله لترميم النقص في النص، فقد فضح الله نواياه، وأصبح ممن يشار إليه بالشك أو الكذب والنفاق، ولو كان بحثهم ضمن نطاق العلامات القرآنية التي توجِّه البحث في الآثار وعلم التاريخ، لاختلف الأمر وشُكر الجهد.

[1] - ص ٣٤٧ عرائس المجالس

- ذي القرنين ويأجوج ومأجوج:

لقد ذكر الله ذو القرنين، على أنه رجل ذا قوة وفتوحات وصلت إلى مشرق الأرض ومغربها، وهو مؤمن، وقيل: نبي، ومن حيث علم الرواة بالفتوحات التي قام بها الإسكندر المقدوني، زعموا أن الإسكندر المقدوني هو ذو القرنين، وممن قال ذلك: المسعودي"[١]، وعلي وعكرمة"[٢]، "وزعم بعض القدماء أن الإسكندر هو أخو دارا بن دارا، وذلك أن دارا الأكبر، تزوج أم الإسكندر"[٣]، وقال ابن هشام صاحب السيرة: هو عربي "واسمه الصعب بن ذي مراثب.. بن سام بن نوح، وأنه ملك من ملوك حمير"[٤]، وروى الدميري: أن أمه كانت "آدمية وأبوه من الملائكة"[٥]، وقال وهب بن منبه: "كان ذو القرنين رجلاً من الروم"، وقال ابن اسحق: أنه فارسي أسمه مرزبان بن مردويه، وقيل: أن اسمه هرديس أو هرمس، وقيل: أنه ابن خالة الخضر. وابن كثير قد ميز بين الإسكندر المقدوني وذي القرنين، فالأول وزيره أرسطو، وهو كافر، والثاني وزيره الخضر وهو مؤمن"[٦]. ولكن

---

[١] - ص ١٠٠ التنبيه و الإشراف
[٢] - ص ١٣٧ بدائع الزهور
[٣] - ص ٣٢٢ عرائس المجالس
[٤] - ص ٢٥٨ ج١ الخطط المقريزية
[٥] - ص ٥٥٦ ج١ حياة الحيوان الكبرى
[٦] - ص ١٠٦ ج٢ البداية و النهاية

ليس من رأي لهؤلاء الرواة، إلا وقد أصاب جانباً من الخطأ أو الجهل بالتاريخ، وكل الصواب أنه ملك، مؤمن وذو أعمال صالحة"[1].

ولتحديد المساحة التي غطتها فتوحات ذي القرنين، قال تعالى: "**حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً، قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً، وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا**"[2].

فقد وصل غرباً، إلى أراضي ذات مطر ووحل، والشمس هناك كأنها تغرب عبر فتحة من الطين، وأهل تلك الأراضي كفار، وهم على لغة وكلام، فمن استمر منهم على كفره قتله، ومن آمن، كلفه باليسير مما أمر الله به، وأمام هذه الظروف الصعبة التي تحد من حركة جيشه، تحرك باتجاه مغاير، قاصداً الشرق أو مطلع الشمس، حتى وصل إلى أرض خالية من الشجر، وهو قوله تعالى: "**حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً** "فالشجر وليس الثياب أو البنيان هو المقصود بفعل الله من خلال قوله تعالى: "لم نجعل"، وليس هذا إلا في

---

[1] - الكهف: ٨٦ – ٨٨
[2] - الكهف ٨٦ – ٨٨

الصحراء الجليدية، ووجد هناك صنفان من حضارة البشر، قوم على حضارة ولغة وفهم لمعنى القانون والمجتمع، وقوم متخلفون مفسدون وعلى لغة بدائية، هؤلاء هم يأجوج ومأجوج، ولمنع إفسادهم وعدوانهم على من جاورهم، أغلق المعبر الوحيد الذي ينفذون منه بسد أو جدار يصل بين الجبلين أو السدين، وقد بناه من الحديد والنحاس، حتى لا يتسلقوا عليه أو ينقبوه. ففتوحات ذو القرنين إذا امتدت من أراضي الطين والمطر غرباً وهو القرن الأول، حتى الصحراء الجليدية شرقاً وهو القرن الثاني، والله أعلم. أما الرواة فقال السدي عن مطلع الشمس: "هم أهل "منسك "الذين هم عند مطلع الشمس، والسهيلي قال: هي مدينة بلغار، وقال مجاهد: هم من الزنج الأعلى، وقال السدي أيضاً: "إن الشمس تشرق من عين ماء هناك، وعن مغربها قال: "لما بلغ الإسكندر مغرب الشمس رأى هناك العين الحمئة، فإذا غربت الشمس في تلك العين، يسمع لها دكدكة مثل الرعد القاصف، وتفور تلك العين وتغلي كغليان القدر"[1]، وقال بعضهم: لما تجاوز الإسكندر مغرب الشمس، صار يمشي بجيوشه في ظلمات لا آخر لها"[2].

وعن تفسير معنى "القرنين "قالوا: "لأنه مَلَكَ الروم وفارس، وقيل: لأنه كان في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم، وقيل: لأنه كان له ذؤابتان

---

[1] - ص ١٣٨ بدائع الزهور
[2] - ص ١٠٧ ج١ البداية و النهاية

حسنتان، وقيل: لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس، وقيل: لأنه أعطي علم الظاهر والباطن"[1]، وقال الحسن البصري : "هما غديرتان من شعر، ووهب قال: كان له قرنان من نحاس في رأسه، وعلي بن أبي طالب قال: كان عبداً صالحاً نصح قومه فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله ثم ضربه قومه على قرنه الآخر فمات"[2]، وقال ابن عباس: لبلوغه أطراف الأرض، وأن المَلَك الموكل بجبل قاف سماه بهذا الاسم، ومنهم من رأى أنه من الملائكة، وقال علي: لذؤابتين من ذهب في رأسه"[3]، وقيل: لأنه رأى في منامه أنه ماسك بقرون الشمس، وقيل: لكرامة جدَّيه، وقيل: لأن برأسه عظمين ناتئين مثل القرنين"[4]، وقال الإمام علي: كانت "تُطوى له الأرض"[5]، وقيل: بلغت تعداد جنوده "ألف ألف وأربعمائة ألف"[6]، عدا النور والظلمة اللذان من جنوده، والذين قالوا بأنه نبي مرسل، زعموا أن الله بعثه إلى سبعة أمم: "الإنس والجن ويأجوج ومأجوج، وهاويل وتاويل"[7]، وزعموا أنه وقع على جزيرة بيضاء "فيها خلق على خلق الإنسان في الانتصاب، ورؤوسهم مثل رؤوس السباع والكلاب، فلما دنوا

---

[1] - ص ٣٢٢ عرائس المجالس
[2] - ص ١٠٣ – ١٠٤ ج٢ البداية و النهاية
[3] - ص ٣١٩ ج١ مروج الذهب
[4] - ص ١٣١ بدائع الزهور. ص ٥٥٨ ج١ حياة الحيوان الكبرى
[5] - ص ١٣٧ بدائع الزهور
[6] - ص ٣٢٥ عرائس المجالس
[7] - ص ٣٢٤ نفسه

منهم غابوا عن أبصارهم"[1]، ولما صار إلى الظلمة مرَّ بجزيرة فيها أمم رؤوسهم رؤوس الكلاب العظام، بادية أنيابهم، يخرج من أفواههم لهب النار، ولما رأى نوراً ساطعاً قصده، فإذا هي جزيرة في وسطها قصر من البللور الصافي"[2]. ولما وصل إلى جزيرة التنين الذي سام أهلها سوء العذاب، استغاث به أهلها ليرفع عنهم عبء ما يقدموه له من قرابين: كل يوم ثورين، فحشى ثورين بالزفت والكبريت والزرنيخ، ولما أكلهما التنين مات، واستراح أهل الجزيرة من شره"[3].

ملاحظة: لقد أصبح ذو القرنين عند الرواة، وكأنما هو واحد من الأبطال القدماء أنصاف الآلهة، سواء في أفعاله، وطبيعة تكوينه الملائكية، أو في المخلوقات التي صادفها في فتوحاته، وهل العبور إلى الظلام لا علاقة له بعبور "أنكيدو "إلى العالم الأسفل؟ هو نفسه إن لم يكن على نفس المنوال، وأساطير التنين الذي ينفث اللهب من فمه، والبطل الذي يخلص البشر من عبء ما يفرضه عليهم من قرابين بشرية أو حيوانية، مشهورة جداً في ثقافة الأقدمين، وها هي نفسها قد جاءت إلى حظيرة الإسلام محمولة على قرني الإسكندر.

[1] - ص ٦٩ أخبار الزمان
[2] - ص ٥٢ نفسه
[3] - ص ٥٣ نفسه

- يأجوج ومأجوج وقرابتهم من البشر:

لقد زعم الثعلبي: أن "بين بناء السد والهجرة النبوية ألف وخمسمائة وثلاثون سنة"[١].

يأجوج ومأجوج "سموا بذلك لكثرتهم وشدتهم، وقيل من الأجاج وهو الماء شديد الملوحة، قال مقاتل والحسن البصري: هم من ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام أبو الترك، وقال الضحاك: هم من الترك، وقال كعب الأحبار: احتلم آدم عليه السلام فاختلط ماؤه بالتراب فآسف، فخلقوا من ذلك"[٢]، "وليسوا من حواء"، ولهذا فهم "إخوتنا من الأب"[٣]، "دون الأم"[٤]. أما محيي الدين النووي، فقال: "أنهم أولاد حواء وآدم عند أكثر العلماء"[٥].

سماؤهم وأمطارهم غريبة عجيبة، فهم "يمطرون التنانين في أيام الربيع، كما يمطرنا الغيث لحينه، فيأكلونها"[٦]، ومن حيث هم أصل الترك، قال وهب بن منبه: "إنما سميت ترك تركاً لأن ذا القرنين لما بنى السد على

---

[١] - ص ١٣٩ بدائع الزهور
[٢] - ص ٤٣٠ ج٢ حياة الحيوان الكبرى. ص ١٤٠ بدائع الزهور
[٣] - ص ٤٣١ ج٢ حياة الحيوان الكبرى
[٤] - ص ٢٦٩ الإسرائيليات
[٥] - ص ٤٣١ ج٢ حياة الحيوان الكبرى
[٦] - ص ٤٣٣ نفسه

يأجوج ومأجوج، كان منهم جماعة غائبون، لم يعلموا ببناء السد، فتركوا خارجه، فسموا تركاً"[١].

أما أصنافهم وأنواعهم، فحدث ولا حرج "قال السدي: أنهم على ثلاثة أصناف: صنف كالنخل الطويل، وصنف طوله وعرضه سواء، يفترش إحدى أذنيه، ويلتحف الأخرى، ومنهم من طوله شبر وشبران، لا يموت احدهم حتى يرى له ألف ولد"[٢]، وقالوا: ومنهم من له "ذنب وقرن وأنياب بارزة، ومنهم من مشيه وثب، ويأكلون الحيتان والناس والخشخاش، ومنهم من لا يتكلم إلا همهمة"[٣]، "وصنف منهم كالإوز طولهم مائة وعشرون ذراعاً، فإن لحسوا السد، لا يمرون بفيل ولا خنزير إلا أكلوه، ويأكلون من مات منهم، مقدمتهم بالشام، وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية"[٤]، "ويأكلون الأشجار والنباتات جميعها في يوم واحد"[٥].

أما ابن فضلان الرحالة، رسول الخليفة العباسي المقتدر إلى بلاد البلغار، وحيث لا شاهد له تكذيب ما زعم، "قال: لما وصلت إلى بلغار سمعت أن عندهم رجلاً عظيم الخلقة، فسألت الملك عنه، فقال: نعم. وإذا

---

[١] - ص ١٤٠ بدائع الزهور
[٢] - ص ١٤٠ نفسه
[٣] - ص ٩٢ أخبار الزمان
[٤] - ص ٤٣٠ – ٤٣١ ج٢ حياة الحيوان الكبرى
[٥] - ص ١٣٩ بدائع الزهور

رجل طوله اثنا عشر ذراعاً ورأسه كأكبر ما يكون من القِدر وأنفه أطول من شبر، وعيناه عظيمتان وكل أصبع منه شبر، فأقبلنا نكلمه وهو لا يزيد على النظر إلينا، فعرَّفوني أن هذا الرجل من يأجوج ومأجوج"[1]، وقال "يلطط "ملك البلغار عن هذا الرجل: "أقام عندي مدة، فلم يكن ينظر إلى صبي إلا مات، ولا حامل إلا طرحت حملها، وكان إذا تمكن من إنسان عصره بيديه حتى يقتله"[2]، وقد وصف له أهل "ويسو "يأجوج ومأجوج: أنهم "عراة، وهم مثل البهائم، ينكح بعضهم بعضاً، يخرج الله لهم كل يوم سمكة من البحر، فيجيء الواحد منهم ومعه المدية فيحز منها قدر ما يكفيه ويكفي عياله، فإذا أخذوا منها حاجتهم انقلبت ووقعت في البحر، فهم في كل يوم على ذلك"[3]، وقيل: أن البحر يقذف إليهم في كل سنة سمكتين يكون بين رأس كل سمكة وذنبها مسيرة عشر أيام أو أكثر.

"قال البخاري: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: رأيت السد، قال: وكيف رأيته؟ فقال: مثل البرد المحبر. فقال: رأيته هكذا؟ ذكره البخاري

---

[1] - ص ٢١٩ عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات. ص ١٦٥ رسالة ابن فضلان
[2] - ص ١٦٦ رسالة ابن فضلان
[3] - ص ١٦٥ – ١٦٦ نفسه

معلقاً بصيغة الجزم، وقال ابن كثير: ولم أر – أي الحديث – مسنداً من وجه متصل، وابن جرير رواه في تفسيره مرسلاً"[1].

أما عن لحس يأجوج ومأجوج للسد، قيل: أنهم يلحسون السد بألسنتهم، حتى يروا منه شعاع الشمس، ثم يأتون في اليوم الثاني، وإذا به عاد كما كان، "وهذا دأبهم إلى قيام الساعة، فيلحسونه في آخر الزمان، إذا جاء الوعد، ويقولون: غداً نفتحه، ويقولون: إن شاء الله"[2]، عندها يخرجون، ولكن "دكاً "لا تساوي في العربية "لحساً "! أما حديث لحس يأجوج ومأجوج للسد، فقد رواه ابن ماجه في سننه، وقال الترمذي: حديث "غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن كثير يقول: فإن لم يكن رَفْع هذا الحديث محفوظاً، وإنما هو مأخوذ عن كعب الأحبار كما قال بعضهم، فقد استرحنا من المؤنة"[3].

لقد رأى الواثق بالله، مناماً ذات مرة، فيه خروج يأجوج ومأجوج، فنهض فزعاً، فوجه "سلاما "الترجمان لإدراك الخبر في بلاد زغرد، ولما وصل ببعثته إلى هناك "شموا روائح نتنة، فسألوا عن العلة "فقالوا لهم: مات هاهنا قوم، ثم ساروا في مدن خراب عشرين يوماً، فسألوا عن تلك

---

[1] - ص ١١١ ج٢ البداية و النهاية
[2] - ص ١٤١ بدائع الزهور
[3] - ص ١١٢ ج٢ البداية و النهاية

المدن، فقالوا: قد ظهر فيها يأجوج ومأجوج فخربوها"[1]، وقال ابن العبري: إن يزدجرد بن بهرام وجد أساس السد في مروج بلدان القفجاق، فأقامه "وأحكم بناءه"[2] تارة أخرى.

ملاحظة: إن هذا النوع من الأساطير، يرتكز في نشأته، على التوراة لما له ذكر في القرآن والتوراة، وعلى الاختلاق فيما يخص المتشابه والمسكوت عنه في القرآن، وعلى أساطير القدماء والنسج عل منوالهم، وعلى ما تبرع به الرحالة من تهاويل وقصص كاذبة، تلك هي المصادر الأربعة لأساطير البيئة الإسلامية.

ومن طبيعة هذه الأساطير، غزارة وجوهها، غزارة المخيلة وتحررها من الضوابط، وطالما لا ضوابط، فليس لصانع أسطورة الحق في إنكار أساطير غيره، وكل الأساطير بالتالي سواء، ولكلٍ ما زعم، ووقع المفسرون في مزالق صناعها، فحشوا كتبهم منها ومن وجوهها المتعددة، وانعدم أمام القارئ الفرق بين الحقيقة والخيال، بين الصدق والكذب، حتى كاد الظن بأن القرآن هو منبع الأساطير.

---

[1] - ص ٣٢٨ عرائس المجالس

[2] - ص ٥٨ تاريخ مختصر البلدان

يأجوج ومأجوج حسب صناع الأساطير، وجدوا عن معجزة وجود الحياة عن طريق اللقاء بين المني والتراب، واستخدام المني والعطاس كما قلنا من قبل هي من الوسائل المعتمدة لتفسير الخلق في الحضارات السحرية التي سبقت الإسلام، وأشكالهم التي بأنيابهم وأذنابهم، وبرؤوس كلاب وإوز، وأطوالهم، هي الأخرى مستعارة من آلهة العالم الأسفل، عالم الموتى، أما سمكة مأكلهم التي بلغ طولها مسير عشرة أيام، وسماءهم التي تمطرهم بالحيتان، هي أيضاً لا فرق بينها وبين ما كان مألوفاً من سير الحيوانات الخارقة عند الوثنيين.

أما عن وجود يأجوج ومأجوج الآن، فإننا نعلم في أيامنا هذه، أنه ليس من أرض إلا وقد أصبحت تحت العلم، ولا وجود لشيء من البشر خارج نطاق المعرفة، أي: أنهم خرجوا ومنذ زمن بعيد، والله أعلم.

- أهل الكهف ووفد الرسول إليهم:

لقد حصل الرواة على أسماء جميع رجال الكهف، لكن لا عن آثارهم وما دونوه وإلى ما هنالك من الوسائل الوثائقية، إنما عن طريق الاختلاق، وأسماؤهم، عن علي رضي الله عنه: "تمليخا، ومكسلمينا، مرطليوس، وكشطوس، وسادنيوس"[1]، وعن ابن عباس: هم "مكسلمينا، تمليخا، مرطليوس، بينوى، ساونوس، دافوس، كشطوس وهو الراعي"[2]، والذي ذهب لشراء الطعام لهم، أسمه: "يمنيخ "وعن ابن اسحق، هم: "مكسمليناً، محسملينا، يمليخا، مرطوس، كسوطونس، بيرونوس، رسمونس، بطونس، قالوس"[3].

أما زمانهم، فقد قيل: "أن زمانهم متقدم على ما ذكره بعض المفسرين، أنهم كانوا بعد المسيح، وأنهم كانوا نصارى"[4]، أي: كانوا قبل المسيح، أما ابن كثير والدميري فيقولان: "فأما الذي عليه علماء أهل الإسلام فعلى أن أمرهم كان بعد المسيح"[5]، والذين زعموا هذا الرأي قالوا: أنهم هربوا إلى الكهف زمان الملك الكافر "دقيانوس"[6]، أو زمان

---

[1] - ص ٣٧٣ عرائس المجالس
[2] - ص ٣٧٤ نفسه
[3] - ص ٣٧٢ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[4] - ص ١١٤ ج٢ البداية و النهاية
[5] - ص ٢٧٣ ج١ تاريخ الأمم و الملوك. ص ٢٨٥ ج٢ حياة الحيوان الكبرى
[6] - ص ٣٧٥ عرائس المجالس

"ذاقيوس"[١]، أو "داقيوس"[٢]، أو زمان الملك الذي أتى بعد قسطنطين"[٣]. أما متى استيقاظهم، فقيل: زمان الملك النصراني "أوالس"[٤]، أو "تدرس الرومي"[٥]، أو في زمان "ثاو ذو سيوس قيصر الصغير"[٦]، أو "تيدوسيوس"[٧]، أو "تندوسيس"[٨].

أما مكان الكهف أو في أي مدينة أو جبل، قال علي بن أبي طالب: "أسم الجبل ناجلوس، وأسم الكهف الوصيد، وقيل خيرم"[٩]، أو "حيزم"[١٠]، أو "مدينة أفسيس، أو الهوتة التي تسمى خارمى"[١١]، والجبل حسب ابن عباس "نيحلوس"[١٢]، أو "هو بأرض أيلى، أو بأرض نينوى، وقيل بالبلقاء، وقيل ببلاد الروم"[١٣], وقال وهب: بمدينة "أفسوس"[١٤] أو "طرسوس"[١٥]،

---

[١] - ص ٨٥ تاريخ مختصر الدول
[٢] - ص ١١٥ , ١٢٧ التنبيه و الإشراف
[٣] - ص ١١٩ نفسه
[٤] - ص ٣٥٧ ج١ مروج الذهب
[٥] - ص ١٢٧ التنبيه و الإشراف
[٦] - ص ٨٥ تاريخ مختصر الدول
[٧] - ص ١٠٥ التنبيه و الإشراف
[٨] - ص ٣٨٥ عرائس المجالس
[٩] - ص ٣٧٥ نفسه
[١٠] - ص ١١٤ ج٢ البداية و النهاية
[١١] - ص ١٢٧ التنبيه و الإشراف
[١٢] - ص ٣٧٣ ج١ تاريخ الأمم و الملوك
[١٣] - ص ١١٥ ج٢ البداية و النهاية
[١٤] - ص ١٤٤ بدائع الزهور
[١٥] - ص ٣٧٢ عرائس المجالس

وقال العزيزي: قرب "مدينة ترسيس"[١]، أو "مدينة أفسيس"[٢]، وقيل أنه في الأردن "على بعد حوالي سبعة أميال من عمان، في قرية صغيرة أسمها الرقيم"[٣]، كما عثروا على المسجد الذي بني فوق الكهف، أما محمد بن موسى بن شاكر المنجم، الذي أرسله الواثق بالله في بعثة للبحث عن مكان الكهف تبعاً للعلامات الفلكية المذكورة في القرآن، فقد جزم بأن الكهف في مدينة "أفسيس"[٤].

ولقد انشغل الرواة أيضاً بكلب رجال الكهف، "قال شعيب الجبائي: اسم كلبهم حمران"[٥]، علي: أسمه "ريان"، الأوزاعي: أسمه "مشير"، سعيد الحمال: أسمه "حران"، عبد الله بن سلام: "أسمه بسيط"، كعب الأحبار: أسمه "ميها"، وهب: أسمه "نقيا""[٦]، عبد الله بن كثير: أسمه "قطمور"[٧]، ابن عباس: "قطمير"، وقيل: "صهبان"[٨]، والأوزاعي: "نتوى"، ومجاهد: "قنطورية"، كعب: "تفنى"، أبو حنيفة: "قطمور"، وقيل: "قطفير"[٩]. وعلى ما يبدو أنه كان مسجلاً بالعشرات من دوائر النفوس، حتى اختلفت أسماؤه،

---

١ - ص ١٤٧ نفسه

٢ - ص ٣٥٧ مروج الذهب. ص ١١٦ التنبيه و الإشراف

٣ - ص ٣٧ معجزة الأرقام و الترقيم في القرآن الكريم

٤ - ص ١١٦ التنبيه و الإشراف

٥ - ص ١١٥ ج٢ البداية و النهاية

٦ - ص ٢٦٢ ج٢ حياة الحيوان الكبرى

٧ - ص ٢٧٩ نفسه

٨ - تفسير الخازن

٩ - ص ٣٧٤ عرائس المجالس

هذا الاختلاف المريع، وربما لكل راو دائرة نفوس للحيوانات تخصه دون غيره! وعن لونه قال علي: كان لونه "أبلق بسواد"، وابن عباس: "كان أنمر أو أغبر أو أحمر"، مقاتل: كان "أصفراً"، محمد بن كعب: يضرب إلى "الحمرة"، الكلبي: لونه "كالثلج أو خلنجي"، وقيل: لون "الهرة"، وقيل: لون "السماء"[1]، القرطبي: أصفر يضرب إلى الحمرة، أما ابن جريج، فقال: لم يكن كلباً بل أسداً"[2].

وأبى الرواة إلا الكذب، على الله ورسوله، فقد روى الثعلبي في تفسيره: "أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يريه أصحاب الكهف، فقال: إنك لن تراهم في دار الدنيا، ولكن ابعث إليهم أربعة من خيار أصحابك، فابسط كساءك واجلس على طرف من أطرافه، أبا بكر، وعلى الآخر عمر، وعلى الثالث عثمان وعلى الرابع علي بن أبي طالب، ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان. فحملتهم الريح إلى باب الكهف، فقلعوا منه حجراً، فحمل الكلب عليهم، فلما رآهم حرك رأسه وبصبص بعينيه، وأومأ برأسه: أن ادخلوا، فدخلوا الكهف، فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته معشر الفتية، إن النبي محمد بن عبد الله يقرأ عليكم السلام"[3]، وقيل: لم

[1] - ص ٣٧٤ نفسه
[2] - ص ٢٦٢ ج٢ حياة الحيوان الكبرى
[3] - ص ٢٥٢ الإسرائيليات

يرسل عثمان، إنما أرسل "أبو ذر مكانه"[1]، وبعد أن أعلنوا إسلامهم ماتوا تارة أخرى، وعن وهب، قال: "ليس في الجنة كلب ولا حمار إلا كلب أهل الكهف وحمار إرمياء أو بلعم الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه"[2]. وهل كانت الجنة إلا عن ابتلاء وتكاليف، أما القول بالتكليف لحمار واحد وكلب واحد فتلك أدهى وأمر؟!

---

[1] - ص ٣٨٥ عرائس المجالس

[2] - ص ٣٠٨ عرائس المجالس. تفسير الخازن

- عنقاء مغرب وأصحاب الرس:

الرس هو البئر، قال تعالى: "و**عاداً وثمود وأصحاب الرس"**، ونبي أصحاب الرس كما زعموا هو حنضلة بن صفوان، ولإدراجه في الفكر الأسطوري، اختلقوا له قصة الطيور العملاقة: وكان بأرضهم جبل عال يقال له "الفلج "أو "فتج"، أو "مخ"، "وكانت العنقاء بنت الريح تبيت به، وهي كأعظم ما يكون من الطير "عظيمة الخلقة، وقال الكسائي: "إذا طارت تغطي عين الشمس مثل الغمام، وكان عنقها مثل عنق البعير، وكان لها أربعة أجنحة، وكانت ترفع الفرس الميت والبعير والفيل وما أشبه ذلك بمنقارها وتطير به إلى الجبل"[1]، "فجاعت ذات يوم، فانقضت على صبي فذهبت به، فسميت عنقاء مغرب، لأنها تغرِّب بما تأخذه، ثم انقضت على جارية، فشكوا ذلك إلى نبيهم حنضلة، فدعا عليها، فأصابتها صاعقة فاحترقت"[2] هي وأفراخها، ولم يبق لها وجود "وكان حنضلة في زمن الفترة، بين عيسى ومحمد عليهما السلام"[3].

[1] - ص ٦٥ بدائع الزهور
[2] - ص ١٣١ – ١٣٢ عرائس المجالس
[3] - ص ٨٧ ج٢ حياة الحيوان الكبرى

- دابة الأرض واللحية:

قال تعالى: "**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يؤمنون**". وقال وهب: "فأول ما يخرج منها رأسها، وهي ذات ريش وزغب كريش الطير، ولها جناحان، ورأسها يلمس السحاب، ورجلاها تحت تخوم الأرض. وقال السدي أو ابن الزبير: إن رأس الدابة كرأس الثور، وعينيها كعيني الخنزير، ووجهها كوجه الإنسان، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان"[1]، "وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن إيل، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير"[2]، وفي مستدرك الحاكم عن أبي هريرة: "طولها ستون ذراعاً، تضرب المؤمن بالعصا وتكتب في وجهه مؤمن، وتطبع الكافر بالخاتم، وتكتب في وجهه كافر"[3]، وابن عباس يقول: "أنها الثعبان الذي كان في جوف الكعبة، وقال القرطبي: إنها فصيل ناقة صالح، وعن جابر الجعفي أنه كان يقول: دابة الأرض علي بن أبي طالب

---

[1] - ص ١٦٢ بدائع الزهور

[2] - ص ٢٦٥ الإسرائيليات

[3] - ص ٤٥٨ ج١ حياة الحيوان الكبرى

رضي الله عنه"[1]، و "روي عن علي: أنها ليست بدابة لها ذنب، ولكن لها لحية"[2]، أما الرازي فقد أنكر كل هذه الروايات، ونسبها إلى الكذب.

[1] - ص ٤٥٩ ج١ حياة الحيوان الكبرى. ص ٢٦٦ الإسرائيليات
[2] - ص ٢٦٥ الإسرائيليات

ـ الحوت والثور وأسطورة الخلق:

إن المتأمل في أساطير الخلق عند البابليين أو المصريين مقارنة بأساطير الرواة، سيجد المشاركة بينهما في العناصر الأساسية لهذه الأساطير، فالإلهة "تعامت "المقتولة مثلاً قُسمت قسمين، أحدهما أصبح سماءً والآخر أرضاً وبينهما الإله "شو "أو الهواء، للحفاظ على السماء مرفوعة عن الأرض. وبعد أن تم استبدال تعامت بالحوت أو الثور رُوي عن ابن عباس قوله: "وخلق الأرض على حوت، والحوت هو الذي ذكره الله سبحانه في القرآن في قوله تعالى: "**ن والقلم وما يسطرون**""[1]، "وكذا قال مجاهد ومقاتل، ومرة الهمذاني، وعطاء، والسدي والكلبي"[2]. ولكن "ن "حرف، وما هو بالكلمة، وإلا فكل كلمة ذُكر فيها حرف النون، فلا بد فيها حوت، وهذا أمر لا يعقل، وبالتفصيل: "سُئل ابن عباس: على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح، فلما أراد الباري جل جلاله أن يخلق الخلق سلط الريح العقيم على الماء، فطغت أمواجه وارتفع زبده، وعلا دخانه، وصعد فوق الماء وسما عليه، فسماه الله سماء، وجمد الزبد فصار أرضاً،

---

[1] ـ ص ٣٨ مروج الذهب
[2] ـ تفسير القرطبي

فجعل الأرض على حوت، الحوت في الماء على ظهر صفاة، والصفاة على متن الريح"[1].

وعن اسم الحوت، قال الكلبي ومقاتل: "اسمه البهموت، وقال أبو اليقظان والواقدي: ليوثا، وقال كعب: لوثوثا، وقال: بلهموثا"[2]. وبعد أن وضع ابن عباس الحوت كأساس لأسطورة الخلق، توالت الإضافات، من أجل الوصول إلى نظرية متكاملة، فأضيف إليها جوهرة كونية عملاقة، وثور كوني عملاق، وملك عظيم، وإبليس، والآفة، والثعلبي يقول: لما أراد الله خلق السموات والأرض "خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والأرض، ثم نظر إليها نظرة هيبة، فصارت ماء، ثم نظر إلى الماء فغلا وارتفع منه زبد ودخان وبخار، وأرعد من خشية الله، فمن ذلك اليوم يرعد إلى يوم القيامة، وخلق الله من ذلك الدخان السماء، وخلق من ذلك الزبد الأرض، فأول ما ظهر من الأرض على وجه الماء مكة، فدحا الله الأرض من تحتها، فلذلك سميت أم القرى، ولما خلق الله الأرض كانت طبقاً واحداً ففتقها وصيرها سبعاً، ثم بعث الله من تحت العرش ملكاً فهبط إلى الأرض، حتى دخل تحت الأرضين السبع فوضعهن على عاتقه، ومن حيث لم يكن لقدميه موضع قرار، أهبط الله من أعلى الفردوس ثوراً له سبعون ألف قرن

[1] - ص ٢٦ أخبار الزمان
[2] - تفسير القرطبي

وأربعون ألف قائمة، وجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه، فأحدر الله ياقوتة من أعلى درجة من الفردوس غلظها خمسمائة عام، فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه، فاستقرت عليها قدماه، وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض، وهي كالحسكة تحت العرش، ومنخر ذلك الثور في البحر، فهو يتنفس كل يوم نفساً، فإذا تنفس مد البحر، وإذا ردَّ نفسه جذر، ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار، فخلق الله تعالى صخرة غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين، فاستقرت قوائم الثور عليها، ومن حيث لم يكن للصخرة مستقر، خلق الله تعالى نوناً وهو الحوت العظيم، وأسمه لوتيا وكنيته بلهوت ولقبه بهموت، فوضع الصخرة على ظهره، والحوت على البحر، والبحر على متن الريح، والريح على القدرة"[1]. وقال كعب: "إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرضون، فوسوس في قلبه: أتدري ما على ظهرك يا لوثوثا من الدواب والشجر والأرضين وغيرها، لو ألقيتهم عن ظهرك أجمع، فهمَّ لوثوثا أن يفعل ذلك، فبعث الله إليه دابة فدخلت منخره ووصلت إلى دماغه، فضج الحوت إلى الله عز وجل منها، فأذن الله لها فخرجت. قال كعب: فوالله إنه لينظر إليها وهي تنظر إليه، إن همَّ بشيء من ذلك عادت كما كانت"[2]، وهذه الدابة أسمها "الآفة"[3]. أما

---

[1] - ص ٣ ـــ ٤ عرائس المجالس
[2] - تفسير القرطبي
[3] - ص ٨ بدائع الزهور

الصخرة فأسمها "سيخور"، ولما ماجت الأرض، طوقها الله بجبل اسمه "قاف"[1]، من قوله تعالى: **"ق والقرآن المجيد"**، وقال ابن زيد وعكرمة والضحاك: "هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء، اخضرت السماء منه، وعليه طرفا السماء، والسماء عليه مقببة، وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل. وقال وهب: أشرف ذو القرنين على جبل ق، فرأى تحته جبالاً صغاراً فقال له: ما أنت؟ قال: أنا "قاف". قال: فما هذه الجبال حولك؟ قال: هي عروقي، وما من مدينة إلا وفيها عرق من عروقي، فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني فحركت عرقي ذلك، فزلزلت تلك الأرض"[2]، وقال الواقدي: "أن الله تعالى وكل بجبل قاف ملكاً عظيم الخلقة، يقال له: قاف. فإذا أراد الله تعالى زلزلة في الأرض أو خسف ناحية، أمر ذلك الملك الموكل بجبل قاف أن يحرك عرقاً من عروقه، فإذا حركه تزلزلت تلك الأرض أو خسف بها. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن جبل قاف محيط بالدنيا وهو جبل عظيم، لا يعلم قدره إلا الله تعالى، وقد أقسم به في القرآن العظيم، فقال عز من قائل: **"ق. والقرآن المجيد"**"[3].

---

[1] - ص ٥ عرائس المجالس
[2] - تفسير القرطبي
[3] - ص ١٩ بدائع الزهور

ملاحظة: كل الأساطير تعتمد التفسير الإحيائي للخلق، وكلها تعتمد على الكائنات العملاقة أو الكونية، فالحوت والثور والجبل المحيط كلها أدوات مستوردة من الفكر الأسطوري القديم، وكل ما في الأمر أنه تم إدخال: الملائكة، وهيبة الله، وقدرته تعالى، وإبليس، في الأساطير المستحدثة، فقط من أجل أسلمة الأساطير الوثنية وإدخالها في الإسلام. فالملك يقف على الثور، والثور يقف على الصخرة الخضراء، و الصخرة على الحوت، والحوت على البحر، والبحر على الريح، والريح على قدرة الله، والسماء تستند على جبل قاف المحيط بالأرض، تماماً كغطاء القِدر مع القِدر.

ومن تفسيراتهم البدائية، تفسيرهم للرعد بأنه صراخ الجوهرة من هيبة الله، وبالهيبة فسروا تحولات الجوهرة إلى ماء وبخار أو دخان. وقولهم بأن مكة أول ما تكَّون من الأرض، وتفسيرهم للمد والجذر بأنهما عن تنفس الثور الحامل للمَلك، وتفسيرهم إلى زرقة السماء وخضرتها على أنها مكتسبة من لون جبل قاف، وتفسيرهم للزلازل على أنها حركة من عروقه، وزعمهم بأن الزمرد بعض قطع منه، وأن السماء كغطاء القدر على ذلك الجبل. هذا كله بعض من شظايا الثقافة الأسطورية التي سبقت الإسلام.

ولِنَقل التفسير الوثني لوجود كوكب الزهرة في السماء إلى المسلمين، كان استغلال قصة هاروت وماروت التي في القرآن، لتقول وقد أصبحت على لبوس إسلامي: لقد عم الظلم والجور بين البشر، فأرسل الله الملكين هاروت وماروت، لهداية أهل بابل، ولما التقيا بـ "أناهيد "الفاتنة، طلبا منها الفاحشة، فامتنعت إلا بشرط معرفتها للكلام الذي به يصعدان إلى السماء ويهبطان به إلى الأرض. إضافةً لشرط ارتكابهما للفواحش، وبعد أن استجابا للخمر والزنا والقتل، صعدت بذلك الكلام إلى السماء، وحيث دهشت مما رأت، نسيت ما به تنزل إلى الأرض، فبقيت هناك، إنها كوكب الزهرة، إلهة الحب والجمال والخصب، في ثقافة الوثنيين وأساطيرهم.

ولتفسير نزول المطر، قال ابن عباس: "إن ماء المطر من بحر بين السماء والأرض، وفيه السمك والضفادع، وقد نزل في بعض السنين في أماكن من الأرض مع المطر ضفادع وسمك صغار"، وسمكه سام لا يؤكل. وعن نزول البرد، قال: "إن الله تعالى خلق في السماء جبالاً من ثلج وبرد، وفي بعض الأخبار أن الله تعالى خلق ملائكة نصف أبدانهم من ثلج ونصفها من نار، فإذا أراد أن ينزل الثلج على مكان أمر تلك الملائكة أن ترفرف

بأجنحتها على الثلج. فما يسقط إلى الأرض ثلج إلا برفرفة أجنحة الملائكة"[1].

وعن طبقات الأرض قال الثعلبي: "إن الأرض الثانية تخرج منها الريح، وسكانها أمم يقال لهم الطمس وطعامهم من لحومهم وشرابهم من دمائهم. والطبقة الثالثة سكانها أمم وجوههم كوجوه بني آدم وأفواههم كأفواه الكلاب، وأيديهم كأيدي بني آدم وأرجلهم كأرجل البقر..."[2].

ولتفسير حركة الشمس والكسوف والخسوف، قال ابن عباس أيضاً: "خلق الله تعالى الشمس من ضوء نوره، ثم خلق الله تعالى للشمس عجلة لها ثلاثمائة وستون عروة، ووكل بالشمس وعجلتها ثلاثمائة وستين ملكاً"[3]، "ثم خلق الله بحراً دون سماء الدنيا، لو بدت الشمس من دونه لأحرقت كل شيء على وجه الأرض حتى الصخور والحجارة، وما ظاهرة الخسوف والكسوف إلا خروج الشمس عن مسارها، لتغرق في ذلك البحر "والذي ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلاً قليلاً من ذلك السواد الذي يعلوه، فهو من غمر ماء ذلك البحر، وهو خروجها من ذلك الماء، فإذا أخرجوها، اجتمعت الملائكة كلها فاحتملوها حتى يضعوها على

---

[1] - ص ٤ بدائع الزهور
[2] - ص ٦ – ٧ نفسه
[3] - ص ١٦ عرائس المجالس

العجلة"[1]. ولتفسير المادة الأولى لخلق الجن، قال ابن عباس: "إن بين السماء والأرض بحراً من نار لا دخان لها، والجن خلقوا من ذلك البحر"[2]، وعن السموات قال: "سماء الدنيا من زمردة خضراء، والسماء الثانية من فضة بيضاء.."[3]. ووصف اللوح المحفوظ بأنه "لوح من درة بيضاء طوله بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافتاه الدر والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكلامه قديم"[4]. وعن منبع النيل زعموا: "أن منبعه من الجنة، من تحت سدرة المنتهى"[5].

[1] - ص ١٧ نفسه
[2] - ص ٥ بدائع الزهور
[3] - ص ٣٩ ج١ مروج الذهب
[4] - ص ٢٦٨ – ٢٦٩ الإسرائيليات
[5] - ص ١٩ بدائع الزهور

ـ من أساطير الرحَّالة:

الرحالة في ذلك الزمان هم أيضاً خارج نطاق الصدق والكذب، والشخصيات الأسطورية التي تحدثوا عنها كثيرة كثيرة، فسكان جزيرة جاجشك، سكانها ذوي جلادة على السباحة، لأنهم من نتاج زواج بين الجن ونساء البشر"[1]. وجزيرة سكسار: فيها ناس "وجوههم كوجوه الكلاب، وسائر أبدانهم كأبدان الناس"[2]، وفي جزيرة القصر "أمة رؤوسهم رؤوس الكلاب وأنيابهم خارجة من أفواههم، وجزيرة حارة، سكانها شقر على صورة الناس إلا أن وجوههم على صدورهم"[3]، وجزيرة برطاييل "بها قوم وجوههم كالمجان المطرقة، وشعورهم كأذناب البراذين"[4]، وجزيرة رافي "فيها ناس عراة طول أحدهم أربعة أشبار"[5]، وجزيرة البنان، سكانها عراة "قدم أحدهم مقدار ذراع، ويأكلون الناس"[6].

[1] ـ ص ١٦٤ عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات
[2] ـ ص ١٧٣ نفسه
[3] ـ ص ١٦٠ نفسه
[4] ـ ص ١٥٨ نفسه
[5] ـ ص ١٥٤ نفسه
[6] ـ ص ١٥٥ نفسه

ـ من أساطير الحماس الديني:

"حكى عبد الرحمن بن هارون المغربي: كان معنا غلام صقلي معه صنارة، فألقاها في البحر، فصاد بها سمكة، فنظرنا، فإذا خلف إذنها اليمنى مكتوب لا إله إلا الله، وفي قفاها محمد، وخلف أذنها اليسرى: رسول الله"[١]، "ومن عجائب بحر طبرستان أو البحر السادس، أن فيه جزيرة فيها شجرة تثمر مثل اللوز وله قشر، فإذا كُسر خرجت منه ورقة خضراء مطوية ومكتوب عليها بقلم القدرة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهي كتابة واضحة جيدة"[٢]. "ولما توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أظلمت الأرض فجعل الصبي يقول: يا أماه قامت القيامة؟ فتقول: لا يا بني، ولكن قتل عمر رضي الله عنه"[٣]، ولما مات عمر بن عبد العزيز "ذكر الحافظ ابن عساكر: أنه لما وُضع في قبره بدير سمعان، هبت ريح شديدة، فسقطت منها صحيفة مكتوبة بأحسن خط: بسم الله الرحمن الرحيم، براءة من الله العزيز الجبار لعمر ابن عبد العزيز من النار"[٤]، وبرواية أخرى: أن الذئب والغنم كانا أيام حكمه يعيشان معاً دون أذى أو تنافر، ولما أكل الذئب الغنمة، عرف الراعي بموت عمر بن عبد العزيز. ومحمد صلى الله عليه وسلم

---

[١] ـ ص ١٧٧ عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات

[٢] ـ ص ١٣ بدائع الزهور

[٣] ـ ص ٧٥ ج١ حياة الحيوان الكبرى

[٤] ـ ص ١٠١ نفسه

نفسه قد أصبح أسطورة من جملة الأساطير، ولتفسير الحقيقة المحمدية التي اعتنقها أهل التصوف، قال الثعلبي: أن الله تعالى "أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمداً صلى الله عليه وسلم، فقبض قبضة من موضع قبر النبي وهي يومئذ بيضاء ونقية، فعجنت بماء التسنيم ورعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء، ثم غمست في أنهار الجنة كلها، فلما خرجت من الأنهار نظر الحق سبحانه وتعالى إلى تلك الدرة الطاهرة، فانتفضت من خشية الله تعالى، فقطر منها مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف قطرة، فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبياً، فكل الأنبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا"[١].

وعن منهج اختلاق الأساطير والافتراءات التي تحرر أصحابها من المعايير النبوية أو الخبرية، أن أحدهم سأل مقاتل بن سليمان المشهور بالاختلاق، عن لون كلب أهل الكهف، فقال له مقاتل: "ألا قلت: هو أبقع. فلو قلته لم تجد أحداً يرد عليك قولك"[٢]. وعمر بن الخطاب كان مدركاً لطبيعة وخطورة هذا المنهج، ولما علم بالذي يحدِّثه كعب الأحبار من أساطير الاختلاق والتوراة والأقدمين، هدده بعقاب النفي، فقال له: "لتتركن

---

١ - ص ٢٣ عرائس المجالس
٢ - ص ٢٢١ الإسرائيليات

الحديث عن الأُول أو لألحقنك بأرض القردة"[1]، يقصد اليمن التي جاء منها.
وعبد الله بن الزبير كما مر معنا قد عزل أخاه عبيدة عن إمارة المدينة وولاها أخاه مصعب، بسبب التكلف الذي لا طائل منه.

[1] - ص ٨٧ نفسه

ـ الخاتمة:

إن أي دين جديد، استطاع أن ينتصر على الموجود من حضارات، لا بد له من المرور بمرحلة التزاوج ما بين الحضارتين، أو ما بين الثقافة القديمة والثقافة الجديدة.

الفتوحات الإسلامية كانت سريعة جداً، وبالسرعة نفسها دخلت الشعوب المتعددة الثقافات في الإسلام، وبفعل الحنين لما كان مألوفاً لديهم، كانت المحاولات الكثيرة لاسترجاع تلك الثقافة، بما فيها من أساطير، بما فيها من عقائد وعادات وتقاليد، ومن أجل أن تكون على لبوس مقبول عند المسلمين، كان التفسير عن طريق التأويل ووضع الأحاديث المكذوبة على الرسول والروايات المختلقة التي نسبت لكبار الصحابة.

وبالتفسير الأسطوري برزت ظاهرة القُصَّاص، وانتشر القصاص في المساجد يحدثون الناس بعلمهم المطلق الذي لا تخفى عليه خافية، وبما لديهم من تفاصيل للمسكوت عنه في القرآن، وبما لديهم من أساطير راجت بضاعتهم عند البسطاء والسذج، وحيث كانت دهشتهم التي صدَّقت مزاعمهم، دفعوا لهم ما يعرف بالكدية أو الأجر، حتى أصبح القصاص على نعيم وثراء وسلطة اجتماعية لا منافس لها.

وأخيراً هُزم الفكر الأسطوري، وذلك لما يلي من الأسباب:

١ – لثبوت القرآن كمرجع لا بد منه.

٢ – لتحري الصحيح فيما نسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من أحاديث.

٣ – لنمو تجربة العقل العلمية في تفسير ظواهر الطبيعة.

٤ – لتناقض صناع الأساطير فيما بينهم، عما زعموه عن نفس الموضوع أو الجزئية الواحدة، خاصة مع عجز أحدهم عن تكذيب أي أحد آخر من صناع الأساطير.

٥ – لخلو الإسلام من الكهانة، فالكهان في حضارات ما قبل الإسلام، هم المسؤولون عن ديمومة الأساطير، حتى استخدمت للشفاء والخصب، ومن أجلها كانت المعابد والمذابح وإلى ما هنالك.

٦ – وبالتوحيد كعقيدة، كان مقتل وفشل الفكر الأسطوري المشروط بتعدد الآلهة عند أصحابه.

- المراجع:

١- القرآن الكريم.
٢- الكتاب المقدس.
٣- **أبحاث في الجزيرة العربية:** ماكسيم ردونسون، ترجمة نجيب غزاوي طـ١ ١٩٦٦ دمشق.
٤- **أخبار الزمان:** علي المسعودي. دار الأندلس بيروت، طـ٤ ١٩٨٠.
٥- **أديان العرب قبل الإسلام:** الأب جرجس داود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ١٩٨١
٦- **الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير:** تأليف د. رمزي نعناعة. طـ ١ ١٩٧٠.
٧- **الأصول الكنعانية للمسيحية:** تأليف فايز مقدسي طـ١ ١٩٩٦ دمشق.
٨- **أنساب العرب:** سمير القطب، بيروت، دار مكتبة الحياة.
٩- **البداية والنهاية:** ابن كثير. طـ٢ ١٩٩٠. مكتبة المعارف، بيروت.
١٠- **بدائع الزهور في وقائع الدهور:** محمد بن إياس، دمشق دار الكوثر.
١١- **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب:** محمود شكري الألوسي البغدادي، دار الكتب العلمية، لبنان
١٢- **تاريخ الأمم والملوك:** محمد الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧.

١٣- **تاريخ الحضـارات العام:** آندريه إيمار، ترجمة فريد داغر، منشـورات عويدات لبنان طـ١ ١٩٦٤.

١٤- **تاريخ الكعبة:**

١٥- **تاريخ بلاد الشام القديم:** أحمد علي طـ١ ١٩٩٨

١٦- **تاريخ ثمود:** د. البير براندل، ترجمة د. نجيب عزاوي، طـ ١ ١٩٩٦، دمشق.

١٧- **تاريخ سورية القديم:** د. هشام الصفدي ١٩٨١ – ١٩٨٢ دمشق.

١٨- **تاريخ مختصر الدول:** غريغور يوس الملطي المعروف بابن العبري، منابع الثقافة الإسلامية

١٩- **تفسير البغوي.**

٢٠- **تفسير الثعلبي.**

٢١- **تفسير الخازن.**

٢٢- **تفسير القرطبي.**

٢٣- **التنبيه والإشـراف:** علي بن الحسـين المسـعودي. دار الأندلس بيروت طـ٤ ١٩٨١.

٢٤- **حياة الحيوان الكبرى:** كمال الدين الدميري، منشـورات الرضــى، قم، مطبعة أمير طـ٢.

٢٥- **خبايا الزوايا:** حبيب الزيات.

٢٦- **الخطط المقريزية:** تأليف أحمد المقريزي. دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٩٨.

٢٧- **الديانات السورية القديمة:** تأليف رينيه دوسو. ترجمة موسى الخوري طـ١ ١٩٩٩ دمشق.

٢٨- **رحلة ابن بطوطة:** تحقيق د. علي الكتاني، مؤسسة الرسالة طـ١ ١٩٧٥.

٢٩- **رحلة ابن جبير:** أحمد بن جبير البلنسي، دار الكتاب اللبناني.

٣٠- **رسالة ابن فضلان:** أحمد بن فضلان، تحقيق د. سامي الدهان، طـ٢ ١٩٧٧.

٣١- **السيرة النبوية لابن هشام:** مؤسسه علوم القرآن

٣٢- **صبح الأعشى:** أحمد القلقشندي، دار الفكر طـ١ ١٩٨٧.

٣٣- **طبائع الاستبداد:** عبد الرحمن الكواكبي، دار الشرق العربي، بيروت، حلب طـ٣ ١٩٩١.

٣٤- **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات:** زكريا القزويني، تحقيق فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، بيروت طـ١ ١٩٧٣.

٣٥- **عرائس المجالس:** أبو اسحاق الثعلبي، المكتبة الثقافية، بيروت.

٣٦- **العرب والساميون:** تأليف د. أحمد داوود. طـ١ ١٩٩١.

٣٧- **علم التنجيم:** عبود حنافرة، طـ١ دار علاء الدين دمشق ٢٠٠٠ م.

٣٨- **علم الفلكلور:** ألكزاندر هجرتي كراب، ترجمة رشدي صالح، القاهرة ١٩٦٧.

٣٩- **في فلسفة الحضارة الإسلامية:** د. عفت الشرقاوي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٥.

٤٠- **قصص الأنبياء:** عبد الوهاب النجار.

٤١- **كتاب الحيوان للجاحظ:** دار صعب، بيروت طـ٣ ١٩٨٢.

٤٢- **المجادلة الحضارية:** تأليف عدنان بن ذريل. دمشق ١٩٧٤.

٤٣- **مروج الذهب:** علي المسعودي، دار الأندلس، بيروت طـ٤ ١٩٨١.

٤٤- **معالم حضارات العالم القديم:** د. نعيم فرح، دار الفكر ١٩٧٣.

٤٥- **معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم:** عبد الرزاق نوفل ١٩٨٣، دار الكتاب العربي، لبنان.

٤٦- **مغامرة العقل الأولى:** فراس السواح طـ٧ ١٩٨٧

٤٧- **مقدمة ابن خلدون:** دار القلم، بيروت، طـ٥ ١٩٨٤.

- الفهرس: